كنوز تفتقدها الداعيات

شاهد

تأليف

أمة السلام

دار المحمدي

رقم الإيداع : ٢٢/٣٤٥٣
ردمك : ٧-٧٤-٧٥٢-٩٩٦٠

الطبعة الأولى
١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٣ م
جميع حقوق الطبع محفوظة

الناشر

دار المحمدي للنشر والتوزيع

حي الجامعة ـ شارع عبدالله السليمان
جدة ـ المملكة العربية السعودية
هاتف : ٦٨٩٧٥٠٩ ـ ناسوخ : ٦٨٠٢٦٠٤
ص . ب ٩٣٤٧ ـ الرمز البريدي ـ ٢١٤١٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

من أعماق فؤادي وخفقات جناني
إلى الداعيات المعتزات الحبيبات..
إلى المصابيح المتوقدة رغم كبرياء الظلام
إلى من وضعت يدها في يدي على طريق
الدعوة حتى وإن لم نلتقي
إلى كل من عملت في هذا الدرب
أهدي هذه الكلمات

المقدمة

الحمد لله رب العالميـــن .. وأصلي وأسلم على أشرف الأنبيــاء والمرسلين نبينـــا محمد وعلى آله وصحبه والتـــابعين ومن تبعهم بإحســـان إلى يوم الدين ، وبعد ..

أختي الداعية ..

إن مما دفعني لكتابة مثل هذه الكلمـــات ، هو الواقع المرير الذي ألتمسه في حياة بعض الداعيـــات .. ممن انحرفن قليلاً عن النهج الصحيح للدعـــوة الذي ورثنـــاه عن حبيبنا ﷺ ، ولتعلـــم الداعيات أني أحـــاول دائماً تكرار عبارة بعض الداعيات .. لأني بالطبع لا أقصد الجميـــع ، وحتى وإن ، فالداعية عـــاقلة فطنـــة تقبل النصيحة وتتعظ بغيرهـــا ، وتعلم مواطن الضعف .. فيها فتبـــادر إلى إقـــامتها .

ويعلم الله عزوجل وأنا أخطّ هـــذه الكلمات التي ضمتهـــا دفّتي هذا الكتاب .. أني حاولت إزالـــة كل التكلفة والحواجز بيني وبينك ، لتصل الكلمات إلى قلبك كما خرجت من قلبي .. بآهـــاتها وأحزانها ، بحلاوتهـــا ومرارتها .

وإنّ ما حملني على ذلك بعد رضـــاء الله عزوجل ، هو حبي الصـــادق لك .. في أيّ زمـــان كنت و تحت أي سمـــاء أقمت ، فاعذريني إن أتت كلماتي حرى وعبـــاراتي خاوية من كل معاني الأنس ، فلا تلومي قلباً تلـــوكه الحسرات ..

فلسان حـــالي ..

غَرسُــوا الشَّــوكَــةَ فِي حلــقِي   ثُمَّ قَــالُوا : أَيُّهَــا البَلبل غَــرِّد
زَرَعُوا الآهَةَ فِي قَلبِي ثُمَّ قَالُوا   :   لا تَقُــلْ إِنِّي حَــزِينٌ لا تَــرَدَّد

أســـأل الله أن تلاقي كلماتي القبــول ..

ولا تنسيني من الدعـــاء

أختك في رحاب الدعوة

أمة السلام

القدوة الحسنة

كثير من أخواتي الداعيـات يفتقدون هذا الكنز العظيـم .. والذي يفتح قلوب النـاس لقبول ما ندعو إليه من أمر الله عزّوجل ، فيا تُرى هل يستجـاب لمن تنهى عن خُلق ثم تأتيـه .. أو تنهى عن فضيلة وتكـون من أنأى الناس عنهـا وأبعدهم منهـا .

إن الداعية لا بد أن تكـونَ قدوة حسنة ومثـالاً يُحتذى ، يرى النـاس في كل شئ فيهـا كل ما تدعو إليه ، فيكون لها أكبر التـأثير .. وترى استجابة سريعة فـوق ما كانت تتصوّر بقدرة الله عزوجل ، وقد قيـل : " فعلُ رجلٍ في ألفِ رجلٍ .. خيرٌ من قـول ألفِ رجلٍ في رجلٌ " .

إن الداعية تفتح بأفعالها آفـاقاً شتّى أمام من تدعوهم ، وكثير من الداعيات وفقهن الله لا ينتبهن إلى ذلك ، ويا ليت شعري .. أما علمت الداعية أنهـا مراقبة من النـاس على كل سكَنة وحركة ! .. فإن وجدوا اتفاقاً بين الفعل والقول كـان القبول هو الثمرة .. وإلاّ فالبعد والصدود بلا شك ، وقد عـاتب الله عزوجل المؤمنين في كتـابه قائلاً :

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ .[1]

إنّ الدعوة الإسلامية بحاجة إلى من يمثّلها بأفعاله على مسرح الحيـاة ، لتكون

---

(١) سورة الصف / الآية (٢ – ٣) .

واقعاً ملموساً ، أما الجمـــود بمجرد الكلمة فقط .. فهذا قد لا يفيد كثيراً ، وإن أفـــاد .. فبنسبةٍ ضئيـــلةٍ جداً .

إن القدوة الحسنة هي الطريقة المُثلى دائماً في الدعوة إلى الله تعالى ، خصوصاً بين من تعيـــش معهم الداعية وتتعـــامل معهم ، سواءً كان ذلك في البيت أو في المدرسة أو في أي مكـــان ، فهي إن تحدثت .. أُتْبِعت حديثها بالعمل الجـــاد والسعي الحثيـــث ، نرى في شخصيتها القدوة الصـــالحة لكل من تدعوه .. لسان حالها : ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ .[1]

وإن احتجّت الكلمـــات على ما نقول .. فنكتفي بذكر قدوتنا وحبيبنـــا نبينا محمد ﷺ ، فقد كان يعلّم أصحابه بأفعـــاله قبل أقواله .. حركته قدوة ، ذهـــابه قدوة .. وإيـــابه قدوة ، بل وابتســـامته قدوة ﷺ ، خير داعـــية عرفتها الجبال والوهـــاد ، زرع الله حبّه في قلوب أصحابـــه رضوان الله عليهم .. حتى أصبح هذا الحب عقيدة لا يتم الإيمـــان ألاّ بها ، يأمر أصحابه بالصلاة في وقتها ، فهل يتأخر عنها ؟! .. لا والذي رفع السمـــاء بلا عمد ، أليس هو القائل :

(قم يا بلال فأرحنا بالصلاة) .[2]

لقد كـــان ﷺ قدوة في كل شيء ، حتى في أخلاقه ومعاملاته ، حتى في بيته ومع أهله وفي كل شـــؤونه ، بأبي هو وأمي من رســـول وداعية ﷺ .

أختي الداعية ..

إنك بحاجة ولا شك أن ترتدي مبـــادئك وقيمك المستقـــاة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وتجعلينه أجمل لبـــاس عرفه الناس .. ﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ ،[3] إنك بحـــاجة إلى ذلك في زمن يرتدي فيه البـــاطل أجمل لباس ..

---

(١) سورة يوسف / الآية (١٠٨) .

(٢) أخرجه أبو داود / رقم ٤٩٨٥ ، و ٤٩٨٦ في الأدب ، وإسناده صحيح .

(٣) سورة الأعراف / الآية (٢٦) .

ليُبهر به العيـون ويعمي بزيفه القلوب .

وإنه والله مما يثلج صدري ويقرّ بــه عيني .. أن أرى أمثـال أولاء الداعيات يشرح الصدر محيـاهن ، وتنطق بالطُهر مظـاهرهن ، أعمالهن مكسوة بالإيمان يلجن القلـوب وهي مجبرة .. تحبّب الإيمان إلى من لا يعرفه ، قدوة لمن حولهن ومشعل مضـاء لمن يرينهن .. سراجٌ على الأرض يسيـر ، أفتخر وربي برؤيتهن .. وأُشهد ربي عزوجل أنّي لهن محبـة ، فعلاً أولاء هن حفيدات خديجة وعائشة .. وأسمـاء وسمية ، أدركن أن الفعـل يؤثر أكثر من القـول بمـرات ومرات ، تشعرين بصفـائهن ويعجبك الحديث معهن ، ولقد رأيت وسمعت منهن أو من بعضهن مـا يجعلك تعتزين بوجودك معهن ، ولقد صدق القـائل حين قال : لولا ثلاث لما أحببت البقـاء في الدنيا .. وذكر منها و إخوة لي ينتقون أطـايب الكلام كما ينتقى أطايب الثمـر .

فللّه درهن من قدوة صـالحة ونموذج يُحتذى ، ولو أردت الحديث أكثر لطال بي المقـام .. وصدق الشـاعر :

علّلْ بذكرِ حَديثِهم يا حَـادي   فَحَدِيثهُم يَجلُو الفُؤادَ الصَّادِي

واحذري أختي الداعية من أولئك اللاتي تخلين عن مبـادئهن وقيمهن ، ويسرن عليها كما يسرن على أوراق الخريف المتسـاقط .. دون أن يباليـن بأنهن قدوة يُحتذى بها .

الهمة العالية

بدرٌ قد استتر تحت ديـاجير الظلام .. وتَراكمَ السحاب في سمـاء كثير من الداعيـات إلا ما رحم ربي عزوجل ، مما يؤدي بهن إلى ضعف في النفس .. وخـور في العزيمة ودنو في الهمة .

والهمة العـالية من الكنوز العظيمة التي يجب أن تتحلى بها الداعية ، فيا ليت شعري ماذا ينتظر الإسلام ممن تسلك هذا المسلك الدنيء .. وتركب هذا المركب الوطيء ، وتتخلق بمثل هذا الخلق السـاقط الذي لا يليق بأهل الفضل ولا ينبغي من أهل العقل .. فكيف بمن حملت همّ هذا الدين وتبليـغ هذه الدعوة ؟

ولعل من أهم مظـاهر دنية الهمة : تكاسلها في الدعـوة إلى الله عزوجل ، متنـاسية في ذلك العبء الملقى على عـاتقها .. والمسؤولية المتحتّمة عليهـا ، فيا ترى أين هذه المتكـاسلة عن سير الأنبياء والصالحين والدعـاة ؟ .. أوَما علمت أن غيرها يسعى ويجد ويكدح ليدعـو إلى الله عزوجل ؟ .. أوَما علمت أن هنـاك الكثيرات والكثيرات غيرها قد سبقتها بأميال وأميـال وهي لا تزال في مؤخرة الركب !.. تارةً تنـام وتارة ترتاح ، وأخرى تتلذذ وتتنعم .. والقـوم قد قطعوا الليل والنهـار في السير المتواصل والعمل الدؤوب ، دون أن يستسلموا لهوى نفسٍ أو داعي شهـوة يعلّون مسيرهـم ..

فَتصبَّـرِي لا بُدَّ لِلَّيـلِ الطَّويـلِ مِنَ الصَّبَـاح
واغدي على الدَّربِ السَّديدِ فَمِنهُ يا نَفسِي الرَّواح

أختي الداعية ..

قَد هيَّـأوك لأمرٍ لَو فَطَنْت لَــه　　فاربأ بِنَفسِك أنْ تَرعَى مَعَ الهَمل

لا تنسي أنكِ نذرت نفسك لله عزوجل ولخدمة دينـــه القويم ، تذكري دائمـــاً أن البـــاطل لا يملّ ولا يفتر ، أفيكونـــوا لباطلهم خير منك لدينك وشريعتك ومنهاجك ؟ .. أم أنك نسيت وعد الله الصادق بأن العـــاقبة للمتقين وأن الأرض يرثها عباده الصـــالحون ؟

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾[1]

أيتها الداعية ..

يعلم الله إني أحبك فيه .. وأتمنى لك الأمـــام دائماً وأبداً ، صـــارحي نفسك الآن وفي هذه اللحظـــة ، ما الذي حملك على دُنو همتـــك وتخلخل عزيمتك .. وضعف إرادتك ؟! ..

أهو حب الراحة وإيثـــار الدعة ؟

أهو ملل النفس وسأمتهـــا ؟

أم هو استطـــالة الطريق وصعوبته ؟

أم هو اليأس من نصـــرة الله عزوجل ؟

أم هو استيـــلاء الشيطان عليك من أحد مداخله ..

كاستشعار حقـــارة النفس أو عدم الثقة بالذات ، أم أنه الخوف ؟! ..

أجيبي يا أختي الحبيبـــة الآن ، لعلنا نتوصل معاً إلى حلٍ سليـــم ومقنع .. يفك أســـارك ويحل قيودك التي ألقتك في مكـــان لا يناسبك أبداً .. ولا يصلح لأمثـــالك ، أجيبي بصراحة تـــامة ، فلعلي أجد طريقة لانتشـــالك من الوحل الذي سقطت فيه .

أجل أختي ورفيقـــة دربي .. هذا ليس مكانك على الإطلاق ، هيّا .. هاتِ يدك

---

(١) سورة الأنبياء / الآية (١٠٥) .

ودعينـــا نمضي لما خُلقنا له ، هيّــا .. الحياة السعيدة الطيبـــة .. الحياة التي كدرها عذوبة ومرارتهـــا حلاوة ، هيا نتعاهد على أن نستعذب العذاب في سبيل الدعوة إلى الله تعالى ، فبالهمة العـــالية والعزيمة الصادقة تذلّ لكِ الصعـــاب ..

وصدق الشاعر الفذّ حين قال :

مُر الحَياةِ .. مَنْ يُرِيدُ كَرَامَةً   حلُو .. ويَفلَحُ مَنْ أرَادَ فَلاحا

الغيرة على محارم الله عزوجل

يلتحف قلبي الحزن .. وتمتزج دموعي بالأسى .. وتتشبث بالمحاجر أدمعي عندما أرى وأسمع عن نماذج من أخواتي الداعيات إلى الله ممن اخترن طريق الدعوة .. فلم تمازج الغيرة على محارم الله عزوجل شغاف قلوبهن ، ولم تختلج هذه الغيرة وتجري منهن مجرى الدم ، فربما ترى الداعية المنكر أمام عينيها بياناً جهاراً .. فلا يحرك فيها ساكناً ولا يغلي فيها دم الوريد ، بل تستلطف هذه المعصية وتستحسن هذا المنكر ، ولا يتمعّر وجهها غضباً لله عزوجل .. فالمعروف والمنكر سَواء ، والطاعة والمعصية سواء ، فيا ليت شعري لما كل هذا الجمود .. ولماذا كل هذا التبلد في المشاعر والأحاسيس ! .. أم أنها قد أوقفت على النفس والأهل والأحباب فلم يبق منها لمحارم الله شيء .

أختي على درب الدعوة ..

إن الغيرة على محارم الله عزوجل أن تُنتهك .. منبعه ودافعه الأول هو حب الله عزوجل ، وكلما قوي هذا الحب في القلب واستولى على الأقوال والجوارح كلما توقدت الغيرة على محارم الله عزوجل وزادت ، فكيف لا نغضب ونحن نرى محارم الله تعالى تُنتهك ؟!.. وكيف لا تتمعّر وجوهنا ونحن نبصر محارم من نحب يُعتدى عليها ؟ .. كيف يقرّ قرارنا ونحن نرى من يعصي أوامر ربنا عزوجل ؟ أم كيف تسكن قلوبنا ونحن نرى التفريط في جناب مالك الملكوت ورب الأرض والسموات !!

ألا ليت شعري .. كيف ننام ونحن نرى الفسّاق يجاهرون بالمعصية ليل نهار دون رادعٍ أو خوف أو وازع من إيمان ، قولوا بربكم كيف نهنأ والباطل أمام

مرآنا يتمطى ويزمجر ؟ .. أم كيف ينتحى الحزن عنّا وشفــاه بني قومنا تدندن بما يحيكــه أعداء ربّنا عزوجل ؟!..

لا حول ولا قــوة إلا بالله العليّ العظيــم من زمن أضحت فيه محــارم الله عزوجل تُداس بالأقــدام وتنتهك بكل إقدام .

أختي الداعية ..

إننا في مثل هــذا الزمن كشجرة يــابسة .. ليس فيها إلا وريقــات تحاول البقاء والنهوض من جديد ، وإنّا والله في حاجة مــاسّة إلى أن تتشرّب قلوبنــا بهذه الغيــرة في زمن القابضــات على الجمر، كيف نرضى بهــذا الواقع المرير وحرمات الله خالقنا يقتحمهــا الكبير والصغير ؟ .. هنا تتفجر الأحاسيس الفياضة بمحبة الله عزوجل .. وهنا تتدفق شلالات المشــاعر المرهفة على هذا الدين ، آن الأوان .. والوقت حــان الآن لأن نرفع أصواتنا .. ونهتف بملء فينا ونُسمع العــالم أن اتقوا الله عزوجل وإننا بريؤن مما تعملون ، ونفوّض أمرنــا إلى الله إن الله بصير بمــا تعملون .

وليكن لسان حالنا كمــا قال شاعرنا :

يَستَهدِفُ الأعْدَاءُ دِينِي	كَيــفَ أبقَى مُستَقِــرا
ولَكَم جلَبتُ لأُمتِي فِي	غَفْــوَةَ الأحْلامِ نَصرَا

أخواتي الداعيات ..

إننا اليوم نرى بوضوح الهجمــات المتكررة .. التي يشنّهــا أعداء هذا الدين يستهدفــون عقيدتنا وأخلاقنا ، والمؤسف أن نرى بني جلدتنا وعقيدتنا يفتحــون الباب على مصراعيــه لهذه الهجمات .. ولســان حالهم : أرضٌ خصبــة هات ما لديك ، فغلّفوا ما لديهم بأجمل غلاف وزيّنوه بأحلى زينــة .. حتّى بدا لضعاف البصيرة والإيمــان أن هذا السمّ الزعاف هو الدواء ، فتارةً بالمجلات الهــابطة ،

وتارةً بالأزياء الفــاضحة ، وتارة بالتقليد الأعمى .. وأخرى بالرسوم المتحركة وشتى وســائل الإعلام المختلفة .. المسموعة والمرئية والمقروءة ، حتى ألِف كثير من المسلمين هذه الهجمــات ورأوا أنها من ضروريات الحيــاة ، مما أدّى بالكثيــر منهم بعد أمدٍ من الزمن أن يروا ــ والعيــاذ بالله ــ أن هذه لم تعد من المحرمات ، وربما يصل بهم الأمر ــ نسأل الله العافية ــ أن يتشكّكــوا في صلاح هذا الدين لكل زمــان ومكان .. وأنه مصدر سعــادة البشرية أجمع !

فما الحل أختي وسط هذا الموج الهــادر ؟ .. ونحن قد حُمّلنا همّ الدعــوة إلى الله تعالى ، هل يليق بنا في هذه الأجواء المنتنة أن نبلّد أحاسيسنا أو أن نخدّر مشاعرنا ؟! .. أيليق بنا أن نرضى بمثل هذه الهجمــات ؟ هل سننسى أن هؤلاء هم خلفُ أبو جهلٍ وبني قُريظــةَ وبني النضير ؟ .. أم هل ننسى أن هــؤلاء الشرذمة القليلون هم الأعداء لهذا الدين ؟ أم هل ننسى أن هؤلاء هــم الذين نالــوا بالأمس القريب بل تطــاولوا على ديننا وعلى مقدّساتنا ؟ بل ... بل وعلى نبينا ﷺ ! .. كيف نرضى بهذه الهجمات ممن مزّقوا كتاب ربنا عزوجل وداسوه بأقدامهم .. وحرّقوا المســاجد وقتّلوا المسلمين ، أسقطوا المآذن وأخفتوا صوت الآذان ، ما لنا أعين تقرأ في سجلّ الكون ما خطّته أنــاملهم السوداء ؟ كيف نهدأ والحسرات تلوك صدورنا حين نرى ونُبصر تهافت أحبّــتنا على وحلهم كما تحــوم على النار الفراشات .

إنّ نار الغيرة لتَحرق قلوبنا حتى لا تعرف للسكــون طريقا .. من أين نفرح وبيوت الله تُهجر ؟!.. بل ومن أين نفرح والقيَم والمبــادئ تُهدر ؟ من أين نفرح وطرق الشيطــان تُعمر ؟ الله المستعــان ولا حول ولا قوة إلاّ بالله .. هذا وربي أقل ما يمكننا صنعه .. بل ربما كان هذا من أضعف الإيمــان ، لأنّنا لا نستطيع أن ننــام على الجراح .

أخواتي الحبيبات ..

إنّنا في أمسّ الحــاجة إلى مثل هذه الغيرة على محارم الله عزوجل أن تُنتهك ، واعلمنَ ــ رعاكنّ الله ــ أنّ هذه الغيرة وهذا الغضب على محــارم الله عزوجل هي التي ستُفجّر حملَ همِّ هــذا الدين في القلب .. وستوفّقكن للبحث عن كل وسيلــة للدعوة إلى الله تعالى .. بالحكمة والموعظــة الحسنة في كل زمان وفي كل مكان ، وستنفجــر على ألسنتكن كلمات الصدق .. والتي ستجد طريقهــا إلى القلوب بإذن الله عزوجل ، أمّا من خلا قلبه من هذه الغيــرة .. فسيتحول قلبه والعياذ بالله إلى جلمود صخر لا يؤثر ولا يتأثر ، تستوي لديه الطاعة والمعصية لا يعرف معروفــاً .. ولا يستنكر منكراً .

أسأل الله صلاح الأحوال في الحــال والمآل إنه هو الكبير المتعال .

سعة الأفق

إنّ من الصفات المهمة التي يجب أن تتحلّى بها الداعية .. هي سعـة الأفق وبُعد النظر ، وذلك لأنّ ضيق الأفق من الأمراض الخطيـرة التي قد تنتشر بين الداعيـات .. بمعنى أن حدوث خلل في البصيرة يؤدي إلى حصر التفكيـر في حدود ضيقة لا تتجـاوز الزمان والمكان ، وبعبارة أخرى ضعـفٌ أوخللٌ في البصيـرة يؤدي إلى رؤية القريب ومـا تحت القدمين فقط .. دون النظر إلى البعيد ودون تقدير العواقب والآثـار ، قال تعالى :

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ .[1]

فالداعية بلا شك بحـاجة إلى سعةٍ في الأفق وعمقٍ في الفهم .. حتى تتمكن من إدراك المواقف وفهمها على حقيقتهـا ، ومن ثم البحث عن الأسلـوب الأمثل في التعـامل معها .

ومن سعة الأفق كذلك .. تقدير العواقب والنتـائج لأي تصرف تُقدم به الداعية حتى تسير وفق منهجية مرسومـة ودقيقة ، ولا يؤدي بها ذلك التصرف إلى مالا يُحمد عقبـاه ، والعاقلة الفطنة لا تقدم على شيء حتى تعرف إلى مـاذا ستؤول عاقبة هذا العمل .. لأنها تتحـاشى أن تُبدّد جهودها وتُهدر طـاقاتها وطاقات من حولها سدىً دون فائدةٍ تُذكر ، أو تذهب أدراج الريـاح .

---

(١) سورة الحج / الاية (٤٦) .

لا بد لنا أن نعلم أن الدعوة إلى الله تعالى ليست عمليـــةً عشوائيةً .. بل لا بدّ لهـــا من التخطيط الدقيق والنظر إلى البعيـــد في هذا التخطيط ، حتى تعلـــم الداعية من أين ستبـــدأ وإلى أين ستنتهي .. وهذا ولا شك يحـــاجة إلى سعةٍ في الأفق وانفتـــاحٍ في الرؤية ، وهذا يتبعه ـــ بالطبع ـــ سلامة التفكير .. وهـــذا ما نراه جلياً واضحـــاً في سيرة حبيبنا وقدوتنا نبينا محمد ﷺ .

فإن قالت قائلـــة : هذا نبيٌّ ، فأقول لها حسناً وماذا عن أبي بكر الصديق ﷺ هل هو أيضاً نبي ؟ .. بالطبع لا ، بل هو بشرٌ مثلنـــا تماماً غير معصـــوم كالأنبياء .. وهـــا هو رضي الله عنه يتفقّد المدينة النبوية في أول خلافتـــه لسعة أفقه ورؤيته ، وذلك بعد أن أنفذ جيش أسامة بن زيد ﷺ الذي عقده الرسول ﷺ في وقت كـــانت فيه المدينة النبوية مهدّدة من كل الجهـــات ، وعندما علم بتجهيز إحدى القبائل لغزو المدينة .. خرج هو بنفسه وبالقلّة التي بقيت في المدينـــة وردّ هذا العداء ، واستطـــاع رضي الله عنه وأرضاه بسعة أفقه أن يدبّر الأمور ويفتح الفتوح .. ومدينة حبيبه ﷺ يرفرف عليها الأمن والاطمئنان ، فهل كان الصدّيق رضي الله عنه يعمل بعشوائيـــة ؟ .. أم هل يا ترى كـــان لا يدرك خطورة ما يعمل ولا يقدّر نتـــائج ما يُقدم عليه ؟! .. كلا والذي رفع السمـــاء بلا عمد .. بل كان رضي الله عنه وأرضاه ينظر إلى البعيد ويفكّر بما وراء اللحظة ويرقب الآثـــار والنتائج ، أفقٌ واسع وبصيرةٌ نافذة ﷺ .

وغير هذا كثيرٌ في سِيَر سلفنـــا الصالح رضوان الله عليهم ، ومواقفهم الدّالـــة على سعـــة أفقهم لا تُعد ولا تُحصى ، و لنعلم أنّ سعة الأفقِ ونفـــاذ البصيرة ما هي إلاّ سمةٌ وأمـــارة من أمارات الحكمة .. بمعنى أن الحكيم هو من أكثـــر النـــاس سعةً في الأفق .. وحِدّةً في البصيرة .. تلك الحكمة التي هي من عند الله عزوجل ...

﴿ يُؤْتِي الحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرَاً كَثِيراً ﴾ ..[1]

يؤتيها الله عزوجل من أراد من عباده ، لذا فنحن في حاجة إلى أن نُحسِن صلتنا بالله عزوجل .. ونتقرّب إليه بالطاعات والنوافل ، عسانا أن نصل إلى محبوبيّة الله عزوجل ، وقد قال عزوجل في الحديث القدسي :

(ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ورجله التي يمشي بها ، ويده التي يبطش بها ، ولئن سألني لأعطينه ولئن استعانني لأُعينه] .[2]

فأي سعة في الأفق هذا .. وأي حدة في البصيرة هذه عندما نكون بالله ومع الله وإلى الله ومن الله ، هذا وربي من أوسع الأبواب للولوج إلى دار الحكمة وميدان الأفق الواسع الذي لا يعرف حدّاً .

ومن الأسباب المعينة على سعة الأفق بعد توفيق الله عزوجل .. الفهم الصحيح والدقيق لحقيقة الإسلام وقواعده ، ذلك أن الدين الإسلامي مليء بالحقائق والقواعد والمفاهيم التي تساعد على سعة الأفق .. شريطة أن تُفهم فهمًا صحيحاً سليمـاً ، و وضعها في مواضعها الصحيحة .. دون إفراطٍ أو تفريط ، ونستطيع على ضوء هذه القواعد والمبادىء والحقائق التي يتضمّنها هذا الدين ..أن نوجه طاقاتنا وجهودنا وجهود من يعمل معنا إلى أهداف معينة ، وأن نسيّرها في دربٍ محدود لا نحيدُ عنه .

وهذه القواعد تجعلنا كذلك نحدّد لأنفسنا مبادىء وقِيَم ومُثُل لا نرضى أن نتخلى عنها .. مهما كانت الظروف ومهما كانت الصعاب والعقبات أمامنا ، سواءً كانت عقبات عاطفية أواجتماعية أوحتى إنسانية .. ومثل هذه القيَم والمبادىء تجعلنا

---

(١) سورة البقرة / الآية (٢٦٩) .

(٢) رواه البخاري .

نسير إلى مرفـأ معين لا نريد غيره ولا نلتفت عنه يسرةً أويمنـة ، ويظهر أثر فهم هذه القواعد الإسلامية واضحـاً وجلياً في إدارة وقيادة العمل الإسلامي وتوجيهـه إلى الأمام .. لا العودة به إلى الوراء ، سواءً كانت جمعيةً خيرية .. أو داراً لتحفيظ القرآن ، أو درساً أو حلقات أو مراكز.. وأيضاً الأعمـال الفردية كما أسلفنا .

ومن الأسبـاب المعينة أيضاً على سعة الأفق .. فسح المجـال للنفس حتى تتعلّم من غيرها من ذوي الأفقِ الواسع ، فالكثير من الداعيات ـ هداهنّ الله ـ يستنكفن عن التعلمِ من الغيـر.. بل ويرفضن ذلك وبشدّة ، ولعل بـاعثهن على ذلك هو الإعجـاب بالنفس والعياذ بالله .. زيدي على ذلك الغرور والتكبر حيث ترى أنها أفضل من غيرها أو أنها ليست بحـاجة إلى أن تتعلم من أي أحد أيّـاً كـان ، وهذا والذي نفسي بيده لهو عين الجهل .. فطـالبة العلم والداعية إلى الله تعالى تحتاج إلى أن ترتمي في أحضـان أُولي العلم وأصحاب الأفق الواسع .. وذوي البصيرة النـافذة ممن منّ الله عليهم بالحكمة والرشاد .

فلا تتردّدي أيتها الداعية المؤمنة في الاقتبـاس مِن كل من حولك من أصحاب الحكمة والبصيـرة ، ولا تأخذك العزة بالإثم .. وانظري ـ يارعاك الله ـ كيف كان السلف يقتدون ويتعلمـون حتى ممن هم أصغر منهم سناً وأقل منهم مكـانة ولا يأنفـون من ذلك ، بل يرون أن ذلك هو العقل بعينـه .. هاهو موسى عليه السلام نبيٌ من أنبياء الله وكليمـه .. وأحد أولي العزم من الرسل ، سُئل يوماً .. من هو أعلم أهلِ الأرض ؟ فقال : أنا ! .. فعـاتبه ربُه عزوجل وأخبره أن هنـاك من هو أعلم منه .. ألا هو الخضر عليه السلام .

فيَا أختَ الدعوة ..

هل استكبر موسى عليه السلام من أن يتعلم من هذا الرجل الصـالح ؟ .. هل ترفّع وقال كيف أتعلم منـه وأنا نبي ؟ كلا وربي .. بل أخذ طعامه وفتاه وسار يبحث

عن هذا الرجل .. يكدح الليل والنهـــار في البرّ والبحر ولسان حـــاله ﴿ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾ .[١]

كلّ هذا رغبةً في التعلم من هذا الرجل الذي آتـــاه الله من العلم والحكمة ما لم يُؤتى موسى عليه السلام .

أخيّه .. إنّ مثل هذا التواضع وخفض الجنـــاح ولين الجانب عندما يسكن في النفس يجعل من كل من حولنا ميـــدان رحب لاكتساب سعة الأفق وبُعد النظر.. بعيداً عن خيـــول الكبر والأنفة والإعجاب بالنفس ، فهذه الخيول مما يعكّر صفوَ هذا الميدان الفسيح الذي نكتسب فيه الخبرات والتجـــارب والدراية التي هي أســـاس سعة الأفق .. وقد قال تعالى :

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَابِ ﴾ .[٢]

فشمّري عن ســـاعد الجدّ .. وافتحي أبواب عقلك وقلبك للتعلم والاكتســـاب والفهم ، حتى يتّسع أُفقك وتقوى بصيرتك .. وتتفتح دائرة الأفكـــار والتأمل والمواهب والذكـــاء ، ولا تفوّتي على نفسك الفرص .. فالعمر واحدٌ لا ثاني له ، فانظري أين تضيعينه ؟!

---

(١) سورة الكهف / الآية (٦٠) .

(٢) سورة يوسف / الآية (١١١) .

التوسط و الإتزان

قال تعالى : ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً** ﴾ . [1]

التوسّط والاتزان من الكنوز التي تفتقدها بعض الداعيات ـ وفّقهن الله لكل خير ـ وهذا التوسّط مطلوب في كل شئ ، في العبادات وفي المعاملات .. وخير الأمور الوسط ، وهو حسَنَةٌ بين سيئتَي الإفراط والتفريط ، دون غلوّ أو جفاء بل هو العدل والقوام والوسط .. قال تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً** ﴾ . [2]

وقال تعالى : ﴿ **وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً** ﴾ . [3]

ولعلنا نعرّف الوسط بأنه العمل بشرع الله على وفق منهج الله الذي جاء في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، بلا غلو ولا جفاء و بلا إفراط ولا تفريط .. فالغلو والإفراط هو تجاوز الحد المطلوب مذمومٌ لخروجه عن الوسطية المطلوبة التي أُمرنا بها ، وكذلك الجفاء والإفراط والتقصير والإهمال مذمومٌ أيضاً لخروجه عن الوسطية المطلوبة .. فكلٌّ إذا مذموم لخروجه عن العدل والقوام والوسط ، وهذه الوسطية هي الخيرية .. لأن الله سبحانه وتعالى قال :

﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً** ﴾ . وقال : ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** ﴾ . [4]

---

(١) سورة البقرة / الآية (١٤٣) .
(٢) سورة الفرقان / الآية (٦٧) .
(٣) سورة الإسراء / الآية (٢٩) .
(٤) سورة آل عمران / الآية (١١٠) .

واستمعي أختي الداعية إلى أمر الله عزوجل لرسولــه ﷺ وهو يقول : ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ﴾ [(١)] أي لا تتجاوزوا .. وقــال تعالى : ﴿ يَآأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ ﴾ [(٢)] . وقوّامين هنا صيغة مبــالغة .

وإن كان الأمر بالوسطية قد جــاء لعامة هذه الأمة ، فماذا يا تُرى يمكننــا أن نقــول عن من حملت همّ هذا الدين وهمّ هذه الدعوة ؟

أيتها الداعية ..

إنّنا بحاجة مــاسة إلى هذه الوسطية في حياتنــا وتعاملنا .. في مآكلنا ومشاربنا ودخولنا وخروجنا ، بل حتى في مشــاعرنا وعواطفنا ، بل وتفكيرنا وكل شئ من أمورنا ، ذلك أنك داعيــة كلّفت نفسها بالدعــوة .. ونذرت نفسها لله عزوجل عليهــا الكثير من الواجبات والعديد من التبِعات والمسؤوليــات .. وعلى عاتقها من الأعبــاء ما يحتاج منها إلى التوسط والاتزان في أداء هذه الواجبــات ، حتى لا تُفاجأ في نهاية المطــاف أنّ هناك إفراط في بعضهــا .. وتفريط في بعضها الآخر ، مما قد يورثّها الندم حين لا ينفع الندم .

أختي على دروب الدعوة ..

اسمعي واعقلي عنّي ما سأقولــه لك حتى لا تقعي في مثل هذه الأخطــاء التي لا تُحمد عقبــاها ، إنني لن أتحدث عنك كداعيــة عن الإفراط والغلو والإسراف في المآكل والمشارب والملابس ممــا يتداوله عامة الناس .. بل سأتحــدث إليك أختاه إلى ما هو أعظم من ذلك مما غفل عنه كثيرٌ من الداعيات .. أو لم يصرفن النظر إليــه ، ومن ذلك طلــب الوسطية والاتزان في التعــامل مع الناس وفي حبهم .. بل وزيارتهــم ، ذلك لِمَا رأت عينــاي الكثير والكثير ممــا أدمى القلب

---

(١) سورة هود / الآية (١٢١) .

(٢) سورة النساء / الآية (١٣٥) .

وأدمــع العين وأقضّ المضجع .. و جعلني ــ يعلم الله ــ أقتاتُ الحزن صبــاح مساء ، كلما تكلمت عن ذلك وَجَّه الجميع نظرةً إليّ على إني مبالغةٌ فيما أقول .. رغم أنهم يرون عــواقب ذلك الإفراط والتفريــط ، ولا حول ولا قــوة إلاّ بالله العليّ العظيم .

فَيا أختي الداعية ..

ربّي نفسك على الاتزان والوسطيــة في كل شئ .. ومن ذلك ما يلي :

الاتزان في العواطف :

فإذا ما عرض لك موقفٌ أو حــادثٌ أو مشكلة .. فكّري بقلبك قبل عــاطفتك ، وذلك أن الكثيــر ينجرفن في شلالات العواطف بلا وعي ولا تفكيــر .. بل وبلا تقدير للعواقب والآثار والنتــائج ، وربما يصل ببعضهن إلى إهمالِ واجبِ وترك حقّ من الحقــوق ، انسياقاً وراء عاطفة جــارفة من إحدى الأخوات أوالصديقات لتقع في الإفراط في العــاطفة ..

ومثل ذلك يقال في حالة التفريط أوالجفــاء والإهمال ، حيث تفرط الداعيــة في العاطفة الوجدانيــة .. فلا تحترم الكبير ولا تعطف على الصغير ، ولا تشعر بأي نــوع من الحب والعاطفة تجرها نحو أخواتها الداعيــات ، بل وحتى نحو المدعوات ..

فنقول هل نسينا كيف كان ﷺ يعــامل أصحابه رضوان الله عليهم ، كــان يتودّد لهم ويتألم لمصــابهم .. يفرح لفرحهم ويحزن لحزنهــم ، وصدق الله إذ يقول : ﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ** ﴾ (١) .

وقال ﷺ : (مثلُ المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم ، مثل الجسد الواحد

---

(١) سورة التوبة / الآية (١٢٨) .

إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمّى والسهر) . [1]

وهذا ما فهمه وعقِله أصحابه رضوان الله عليهم من المهاجرين والأنصـــار ، حين آخى بينهم النبي ﷺ ، فظهر الحب والإخـــاء .. والمودة والمحبة بمعناها الحقيقي الذي يعطي الأسمـــاع والأبصار .. فهل فيهم أسوة ؟

لقد عرفـــوا الحب والإخاء بالمعنى الحقيقي لهـــا ، والوسطية المطلوبة دون الوصول إلى الإفراط أو التفريـــط ، ولا الغلو أو الجفاء .

أيتها الداعية ..

لن أسهب كثيـــرا في عرض الاتزان في كل شؤون الحيـــاة .. لأن المقـــام سيطـــول ويصبح مملاً ، ولكن يكفي من السوارِ ما أحاط بالمعصم .

وعلى مثل مـــا ذكرنا ، نستطيـــع أن نقول في العباداتِ جميعاً ، من صيـــامٍ وصلاة ، وكذا في الزيارات للأقارب والأصدقـــاء .. بل وفي التفكير ، حيث يصل بالبعض عندمـــا يفرّطن في التفكير إلى حد الإقلاع عن الأكل والشرب والابتســـامة والاختلاط بالناس .. بل وحتى بالأهل والأصحـــاب ، فتتعطل بذلك الكثير من حقوقهم وواجبـــاتهم ، وكذا الإفراط في الحزن والفرح ، وفي الضحك والبكـــاء .. وفي الخوف وفي الأمـــن ، وفي كل شئ ، مما يؤدي إلى الخســـارة دون الربح .

فاحرصي ـــ يرعاك الله ـــ على التوسط في كل شئ وفق ما جـــاء عن الله عزوجل .. حتى يتسنّى لك السيـــر بكل ثبـــات على طريق الدعوة ، دون أن يزعزعكِ أي حدثٍ أو مـــوقف .. ودون أن تقف في وجهك أي مشكلـــةٍ مهما كانت ، لأنك تستطيعيـــن التعامل معها وتجاوزهـــا بكل راحة وأمـــان ، بعد توفيق الله عزوجل .

---

(١) رواه مسلم .

الأسلوب الحسن في الدعوة إلى الله عزوجل

قال تعالى : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (٢) .

إنّ ممّا تفقده بعض الداعيــات إن لم يكن الكثير منهن .. الأسلوب الحسن أثناء الدعوة ، وذلك أنّ مثل هذه الداعية بضيق أفقهــا وقلة حكمتها ترى أن أهــم شئ هــو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأي شكل وبأي وسيلــة .. حتى وإن كانت خاطئة ، وهذا ولا شك خطــأ ، لأنه لا بدّ للداعية أن تختــار الأسلوب المناسب والحــال المناسب للمدعو .. وإلاّ فأنّى يُستجــاب لها .

وأذكر لكِ هنا قصة إحدى الداعيــات ، كانت في السكن الداخلي لإحدى كليات البنات ، وكــانت في السكن فتاةٌ لم تر عينــاها نور الهداية بعد .. رغم أنّ في قلبها حب الالتزام وأهلــه واحترام الملتزمات وتقديرهن ، ولكن ـــ كما تقول هذه الفتــاة ـــ لقد حصل لي من إحدى الداعيات في السكن ما جعلني أكرههن ..

ذلك أنني كنت في غرفــة لوحدي ، وكنت مُولعة بسمــاع الغناء ، وكنت إذا أردت الخروج أُفاجأ بهن يتجسّسن عليَّ مــاذا أسمع بالضبط ، فكرِهتُهنّ كُرهــاً عظيمــاً .. وزاد سماعي للغناء عنــاداً لهنّ .. وكنت دائمــاً أقول لنفسي هل كلّ الداعيــات بهذا الأسلوب ؟!

---

(١) سورة يوسف / الآية (١٠٨) .

(٢) سورة النحل / الآية (١٢٥) .

الله أكبر أيتها الداعيــة .. إن مثلك في هذه الحالة كمثل رجل له فرس جموح أراد ترويضها .. فما يعرف سوى الضرب ، فكان كل يوم يأتي إليها لترويضها فيضربها ، فما ازدادت إلاّ جمـوحاً وهيجاناً حتى هربت منــه ، فلم يدري أهي من الأحيــاء أم من الأموات .

إنّ الدعوة ليست مجرد أمرٍ ونهي .. لا بل هي عملية تحــاولين من خلالها الولــوج إلى القلب ومخاطبته مبــاشرة ، وذلك لا يأتي إلا بالأسلــوب الحسن والكلمة الطيبــة التي تفتح القلب طــوعاً أو كرها .. فتفعل فعلها فتأتي طــائعةً منقــادةً بإذن ربها ، بعكس الزجر ورفع الصوت وانتهــار المدعو .. والسبِّ والشتم والتشهير بين النــاس ، لأنّ ذلك ما يزيد المدعو بُعداً ونفورا .

وتأملي يرعاك الله في سيرة النبي ﷺ ، وكيف كان يستخدم الأسلــوب الأمثل في الدعــوة إلى الله تعالى ، فهــا هو بأبي هو وأمي ﷺ .. يرى الأصنام حول الكعبة والنــاس يعبدونها ، فلماذا لم يبدأ بتكسيرها رغم أنها بــاطلٌ وشرك .. بل كسرها يوم فتح مكة .. حين حطّمهــا معنوياً من قلوبهم ، وهذا إن دلّنا على شئ فإنما يدلنا عل حكمــة الحبيب ﷺ وتخيُّره الأسلــوب الحسن في دعوة قومه إلى عبــادة الله عزوجل .. ونبذ عبادة مــا سواه .

ذلك أنه ﷺ يعلم أن القلوب قــاسية .. بحاجة إلى ما يليّنهــا و يخصّبها ، و أغلب هذه القلوب بحــاجة إلى الكلمة الطيبة والأسلــوب الحسن ، ومن ذلك الأسلوب كما رأينا .. تخيّر الأوقــات المناسبة للدعوة إلى الله تعالى ، فليست كل الأوقــات تتلائم مع نفس الأسلوب من الدعوة ، فقد تُجدي المحــاضرة في أوقات ولا تُجدي في أوقــات أخرى ، وقد تُجدي الرســالة في أوقات ولا تجدي في أخرى .. وهلُم جراً ..

فالداعية بحكمتها وفطنتها لابد أن تتخيّر أفضل الأوقات و أنجع الأساليب حتى

تتمكن من التأثيــر في القلوب .. وما أسرع وأسهل استمــالة القلوب بالكلمة الطيبة ، أصلها ثابت وفرعها في السمـــاء تؤتي أُكلها كل حين بإذن ربها .

ومما يدخل في الأسلــوب الحسن في الدعوة .. الرفق واللين بالنـــاس في المواقف التي تستدعي ذلك .. والعنف والشدة في المــواقف التي تستدعي ذلك ، وعلى مرّ الزمان والعصور ما رأينــا أفضل من حبيبنا ﷺ في تعليم النـــاس ودعوتهـــم .

وانظري ــ حفظك الله ــ في قصــة الأعرابي الذي بالَ في المسجد ، فنهره الصحــابة رضوان الله عليهم ، فقــال عليه الصلاة والسلام : (**لا تنهروه**) ، وتركه حتى بال .. ثم قــام بإرشاده بالكلمــة الطيبة .

وكذا يُقــال في التغليظ والتعنيف إذا احتاج الأمر لذلك ، مع مراعـــاة التوسط والاتزان في ذلك أيضاً .

ومما يُلاحظ من بعض الداعيــات ، أنّهن يستخدمن كلاًّ من الرفق والغلظـــة في غير مواضعها ، مما يؤدي إلى نفــور المدعو كما أسلفنـــا .. وعدم قبول الموعظـــة أوالنصيحة ولو أنّهن تدبرن سيرة المصطفى ﷺ لكـــان ذلك كافياً ليتعلّمن كيف تكــون الدعوة بمعناها الصحيح وأسلوبهـــا الحسن الذي أمرنا الله به في كتــابه الكريم ، حتى نكسب أكبر عدد من القلوب التــائبة الآيبة ، ونسير بها على درب الإيمـــان .. تستنشق عبير الطــاعة بعد أن أزكمها عفن المعصية ونتن الخطيئـــة .. وتبصر النور بعد الظلام ، ويسكنها الاطمئنـــان بعد أن عشعشت فيها الحيـــرة والضلال ، بعد أن يوفقك الله عزوجل ويجعلك سببـــاً في هدايتهـــا ورجوعها إلى الله تعالى .

الثقة بنصر الله

الأمل .. الثّـقة .. النصر .. وعد الله .. التمكين ، كلماتٌ يجب أن تُنقش على صفحـات القلب ، لا يعتريها غبـار الزمن ولا تمحوها الليـالي والأيام ، تطرد الآهات من ضيق اليأس إلى فضـاء الأمل ، إنها نبراسٌ وضّـاء إذا احلولكت ليالي اليأس ، الثّـقة بالله عزوجل بلسم الحياة ودواء الروح .. حينما تشـتد الأزمـات وتعظُم الكربات ، وتعصف بالآمـال الرياح .

فيا أخت الدعوة ..

ستمرّ بك الأزمـات والمآزق ، وستُظلم الدنيا في عينيـك .. وستضيق الأرض عليك برحابتها ما دُمت على هذا الطريق ، لأنّ الحبيب ﷺ قـال : (**بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء**) .[1]

إنهـا غربةُ الفكر والرأي والروح .. والمعتقد والقيم والمبادئ ، ولكن اقرعي سمعك بآيـات الله عزوجل ، ألم تسمعي قـول الله عزوجل : ﴿ **إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ** ﴾ .[2]

ألم تسمعي قوله تعالى : ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا** ﴾ .[3]

إنه يا أخيّة وعد الله الذي لا يُخلف الميعـاد .

---

(١) أخرجه مسلم / رقم (١٤٥) في الإيمان : باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا .

(٢) سورة غافر / الآية (٥١) .

(٣) سورة النور / الآية (٥٥) .

وإذا ما احتدم الصراع بين اليـأس والأمل في نفسك .. فعليك باليقين الجـازم الذي يقتضي سيطرة ذلك اليقين على كل جوارحك قولاً وعملاً ، حرّكي ركائبك إلى الله عزوجل تحدوك الثقـة بنصره وانتظـار وعده ، ولا يزعزع هذه الثقـة طـول الأمد واشتداد الكرب .. فاليُسـر بين العسرين .

واحذري ـ حفظك الله ـ أن يسيـر زورقك في مستنقعـات اليأس الآسنة .. فتحيطك جراثيم الكسل والفتـور ودنو الهمة ، لقد استقر اليقيـن بنصر الله عزوجل في قلـوب أنبيائه فضربوا أمثلـة عظيمة تظل شـامة ساطعة في جبين التـاريخ ، لا تخبو مع مرور الأزمنة وتطـاول الدهور .

هاهو نبي الله إبراهيم عليه السلام ، صدح بكلمة الحق وحيـداً إلاّ من معيَّـةِ الله عزوجل ، فيتـآمر عليه قومٌ كفروا بالله عزوجل ، ولكن الله أبى إلاً أن يتم نوره ويظهر أمره ، جمعـوا له الحطب ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ وأضرمـوا له نـاراً عظيمة وأرادوا أن يحرقـوه فيها .. فيا تُرى .. كيف كـانت نفسية إبراهيم عليه السلام ؟! هل يئس .. هل تراجع ؟ هل خاف ؟! .. كلاّ وربي ، تسلّـح بالثّقـة بالله تعالى ، وتيقن أن الله نـاصره .. فرفع أكفّ الضراعـة إلى خالقه وفاطره ومـالك أمرهم وأمره .. وكله أملٌ في إجـابة دعائه قائلاً :

"حسبُنا الله ونعم الوكيل" .. وحين أرادوا قذفـه ، أتاه جبريل عليه السلام ، فقـال : *" ألك إليّ حاجة ؟ "* ، قال بثقـة المؤمن : *" أمّا إليك فلاّ .. أمّا إلى الله فنعَم"* ،

فهل تركه ربه وهل تخلّى عن من فوَّض أمره إليـه .. هل خيَّب رجاء من التجأ إليه .. هل أسلمه إلى أعـداءه ؟!

نـارٌ عظيمةٌ قد أُجِّجت من يقدر عليهـا إلاً ربُّها ، جاءت الإجـابة سريعة من الله سبحانه وبحمده لعبده الفقير إليه .. تقهَرُ كل من أراد أن يكيد له﴿ **قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ** ﴾[1] .

---

(١) سورة الأنبياء / الآية (٦٩) .

لقد أرادوا بنبي الله كيداً عظيماً فجعلهم من الخـــاسرين ، فقي وتأملي .

وهذا نبي الله موسى عليه السلام خــرج ببني إسرائيل ليلاً بأمر الله لـــه ، أعدادٌ عظيمـــةٌ تخرج طـــائعةً لأمر ربّها ورسوله .. فلمّا كـــان الصباح أتبعهم فرعون وجنوده ، أرادوا هزيمة هؤلاء المؤمنين جاهليـــن أنّهم في معيَّـــة الله تعالى ولن يسلمهـــم لهم .

لحق فرعون بموسى عليه السلام الذي امتلاء قلبــه ثــقةً ويقيناً بنصر الله عزوجل ، ثـــقة لم تهتز لوقع أقدام فلول هذا الطاغية الذي كان خلفه ، ويقينا لم تُفزعه مياه البحر الذي كانت أمـــامه ، هنا .. تزعزع نفرٌ ممّن كانـــوا مع موسى ، فهـــم حديثـــوا عهدٍ بإيمان .. فقالوا ﴿ **إِنَّا لَمُدْرَكُونَ** ﴾ [(١)] !

لتَهتزُّ الأرض وتضطرب الرواسي الشامخات .. حين صدح ذلك المؤمن بعبارة الثقة بنصر الله سبحانه وتعالى .. يوم قال :

﴿ **كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ** ﴾ . [(٢)]

كلماتٌ طمست كل معاني الخوف المرسومة على وجوه أتباعه ، وأقالَتِ اليأس عن كرسيه الذي تربّع عليه اليـــأس في قلوبهم ، وبالفعل يحقق الله وعـــده .. وينصر الله عبده فيقول : ﴿ **فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ** ﴾ .. [(٣)] الله أكبر أي ثقة هذه .

وإن نسينـــا فلا ننسى قدوتنا وحبيبنا ﷺ في يوم الهجرة ، ذلك اليـــوم الذي أنصتت لأحداثه أذن التـــاريخ وشهدت له الأرض والسمـــاء ، حين خرج ﷺ هو وصاحبه الصديق رضي الله عنه مهاجران إلى المدينة .. فتبعهما المشركـــون طمعاً في الدنيا وحباً في المـــال ، حتى التجأ إلى غـــار ثور .. كان الوقت عصيبـــاً والمـــأزقُ شديد ، حيث اقتفى المشركون أثرهم إلى غار ثور ليـــرى الصديق

(١ ـ ٢ ـ ٣) سورة الشعراء / الآية (٦١ ، ٦٢ ، ٦٣) .

أقدامهم من الغـــار ، إنّه درسٌ عظيمٌ من دروس التاريخ .. حَقّ للأذن أن تـــأنس بسمـــاعه .. وحَق للجلد أن يقشعرّ إجلالاً لــــه ، حين قال أبو بكر الصديق ﷺ : " *لو أنّ أحدهم نظر أسفل قدميه لرآنا* " .. فجاءت تلك الكلمة العظيمـــة التي هزّت مسامع الكون وردد صداها الزمن :

(يا أبا بكر ما ظنُّك باثنينِ الله ثالثُهما) [1] .. **(لا تحزن إنّ الله معنا)** .

الله أكبر .. إنها الثقـــة بنصر الله تعالى حين تتـــآمر عليك الكروب و الشدائد

﴿ حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [2] .

أُخيّـــة ..

إن الدعوة في أمسّ الحـــاجة إلى مثل هذه الثقة بموعود الله تعالى .. أنّ العـــاقبة للتقوى ، وأنّ الأرض لله يرثها عباده الصالحون ، وأن النصر والبقـــاء لدين الله عزوجل .. رغم كيد الكـــائدين وعدوان المعتدين .

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) سورة يوسف / الآية (١١٠) .

التفكر

هل تقبلين منّي دعوة للتـــأمّل والتفكُّر ؟ هل تقبلين مني دعوة للتنّزه في أرجاء الكون الفسيـــح ؟

ربما تسألين : وهل داعيـــة لديها متسعٌ من الوقت لذلك ؟ .. وهل هناك أهمية لمثل هـــذه الرحلة ! .. فأقول لك : اعلمي يرعاك الله أن التفكر والتأمل عبـــادة يُتقرّب بها إلى الله عزوجل ، وإلاّ لمـــا مدح الله عزوجل هـــؤلاء المتفكرين في محكم تنزيلـــه ، بل ودعا عباده إلى هذه العبـــادة العظيمة ..

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ ● الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ .[1]

وقال : **﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَو أَرَادَ شُكُوراً ﴾** ،[2] وقال : **﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾** ..[3]

وغير ذلك من الآيات الداعيـــة إلى التأمل والتفكر ، عبادة نسيَها الكثير إلاّ من رحم الله تعالى .. بها تتقوّى جذور الإيمـــان في سويداء القلب .

والذي نفسي بيـــده إنّ في التفكر راحة ولذة واطمئنـــان .. لا يعرفهـــا إلا من عاش تلك اللحظات التي يسبح فيها القلب والعقل في ملكوت الله عزوجل .. تحلّق

---

(١) سورة آل عمران / الآية (١٩٠ – ١٩١) .

(٢) سورة الفرقان / الآية (٦٢) .

(٣) سورة الأعراف / الآية (١٨٥) .

الرّوح بجناحي التأمل والتفكر في الآفاق مسافات زمنية ومكانية طويلة ، تُخرج النفس من حدودها الضيقة .. إلى الأرض برحابتها ، وإلى السماء بحكيم صنعها وإلى الجبال بشموخها ، وإلى البحار بعمقها واتّساعها .

ومن الأمور التي نتفكر ونتأمل فيها :

التأمّل في عظمة الله تعالى :

نتأمل في أسمائه وصفاته التي وردت في كتابه وسنة رسوله ﷺ ، دون تحريف أو تأويل أو تعطيل أو تكييف ، تماماً كما تأملها أهل السنة والجماعة ، ودون تدخل في ذات الله عزوجل .

فيا أختي الداعية ..

هل خلوت بنفسك لحظة من زمن تتأملين فيها عظمة الله عزوجل ؟ .. هل استعرضت يوماً أسمائه وصفاته .. وتفكرت بها حتى تزدادي معرفة بربك ؟ أم يا تراك نسيت مولاك في زحمة الدنيا ومعترك الحياة ؟! اسمعي قول الله عزوجل : ﴿ **وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ** ﴾ .[1]

الله أكبر اسمعي يا أرض وحدّثي يا سماء .. من نسيَ ربّه أنساه ذاته ونفسه .. فلم يعرف حقيقة ذاته ولم يدرك مصالحها وفلاحها ، وأيُّ شقاءٍ بعد هذا ؟! الله عزوجل ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ .[2]

هو الأول فليس قبله شئ .. وهو الآخر فليس بعده شئ ، وهو الظاهر فليس فوقه شئ .. وهو الباطن فليس تحته شئ ، يعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصّدور، يرى دبيب النملة السوداء على الصّفاةِ السوداء في الليلة الظلماء .. كل الوجود إليه محتاج ، كل يوم هو في شأن .. يغفر ذنباً ويفرج كرباً ،

---

(١) سورة الحشر / الآية (١٩) .

(٢) سورة الشورى / الآية (٤٢) .

وييسّر عســراً ويكشف غماً ، يُجيب سائلاً ويغيث ملهــوفاً .. لا تختلف عليــه الأصوات ولا تتشابه عليه اللغــات ، أشرقت لنور وجهه الظُّلمــات .. لا يدركه نصبٌ ولا يعتريــه تعب ، يعلم السّر وأخفى ، يقيل العثرات ويتجــاوز عن السيئــات .. حليمٌ على من عصــاه قريب ممن لاذ بحمــاه .. رحيم بعباده ، الكل فقير إليــه ، الكل ضــال إلاّ من هداه .. الكل فقيــر إلاّ من أغنــاه ، الكل مخذول إلاّ من أعــانه ، لو أن الإنس والجن قاموا على صعيــدٍ واحد فسألوه لأعطى كل واحدٍ مسألتــه .. ما نقص ذلك من عنده إلاّ كمــا ينقص البحر إذا أُدخل فيه المخيط ..

يا مَن يَرَى مَــدّ البَعُوضِ جنَاحَها   في ظُلمَــةِ الليلِ البَهيــمِ الأليــل
ويرَى منَــاطَ عُروقِها في نَحرِها   والمُــخَ من تلكِ العظَــامِ النُّحَــل
ويرى خَرِيرَ الــدّمِ في أوداجِهَــا   متَنَقِّــلاً من مفصَــل في مفصَــل
ويَرى وصولَ غِذَا الجنينِ ببطنِها   في ظُلمَة .. الأحشَاءِ بغير تمقـل
و يرَى مكــانَ الوطءِ من أقدامِهَا   في سَيــرِهَا وحَثِيثِهَــا المُستَعجل
و يرَى ويَسمَــعُ حِسَّ ما دُونَهَــا   في قَــاعِ بَحْــرٍ مُظلِــمٍ متَهَــوّل

لا إله إلا الله .. ما أعظم الله ..

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ .(١) ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ .(٢)

الله مستــوي على عرشه استواءاً يليــق بجلاله ..

العرش أعظم مخلوقــات الله عزوجل ، سبحان ربِّ السماوات السبع باتساعها وعظمتهــا .. تكون في الكرسي كسبع دراهم أو حلقــات أُلقيت في أرض فلاة ، أيُّ قدرةٍ هذه ! .. لا إلــه إلا الله .

---

(١) سورة الأنعام / الآية (٩١) .

(٢) سورة طه / الآية (٥) .

أيتها الداعية ..

أنَّى لأحرفي وعبـــاراتي أن تحيط ولو بالقليل من عظمة الله عزوجل ؟ .. فيكفينـــا ما جاء به الأثر :

(ما وسعتني سماواتي وأرضي ، ووسعني قلب عبدي المؤمن) .

أخواتي الداعيات ..

إن قلباً سكنه هذا التـــأمل الدائم والتفكر المستمر لَيزداد قرباً من الله عزوجل ومعرفـــةً به ، ومن كان لله أعرف .. كان له أخوف وكان منـــه أقرب .

ومن مجاري التأمل والتفكر :

التأمّل في مخلوقات الله عز وجل :

ومـــا أكثر هذه المخلوقـــات التي تدلّنا على عظمة خالقهـــا سبحانه وبحمده ..

﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا * وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا * وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴾ . [1]

تجولي ببصرك .. اصعدي إلى السمـــاء وتأملي عظيم بنائهـــا ، وانزلي إلى الأرض وتأملي ثبـــاتها ، هل مررت يوماً بجبال شـــامخة .. فقلت من الـــذي رفعهـــا ؟ .. هل هبطت إلى الوديان والسهـــول فقلت من الذي بسطهـــا ؟ .. من الذي أخرج الزرع أشكالاً وألواناً ؟ من الذي يرسل الريـــاح بشراً بين يدي رحمتـــه ؟ .. من الذي أنزل الغيث من بعد ما قنطـــوا ونشر رحمته ؟ من الذي يُرينا البرق خوفـــاً وطمعاً ويُنشئ السحاب الثـــقال ؟ .. من الذي يكـــوّر الليل على النهـــار ويكوّر النهار على الليل ؟!

هل فكرت يوماً .. ماذا سيحدث لو كـــان الليل سرمداً إلى يوم القيامة ! وكيف

---

(١) سورة النازعات / الآيات (٢٧ – ٣٢) .

ستكون الحيـــاة لو كان النهار سرمداً إلى يوم القيامـــة ! .. الله أكبر .

هل وقفتِ يوماً على شـــاطئ البحر .. وأمواجه تلطم جبهة صخوره وســـألتِ نفسك الضعيفة .. من الذي سخَّر لنـــا البحر ومن الذي أجرى فيه الفُلك بأمره ؟

تأملي الأشجار والأحجار . والسيول والبحار .. والسهول والقفار ، والجداول والأنهـــار .. بروح إيمانية ونفس هـــادئة مطمئنة ، ستشعرين أنك قد ولجت عالماً آخر تماماً ، جنـــودٌ مجنّدة تُسبّح الله عزوجل ..

﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ .(١)

وفي خضـــمّ ذلك .. تشعرين بسؤالٍ قد امتطى صهـــوة نفسك ، هربَتْ من هيبته كل إجابة سوى الصمت الرهيـــب .. أين أنا بين كل هؤلاء ؟؟!

و مما نتأمل فيه ونتفكر :

نِعَم اللّه عز وجل : التي لا تُعـــدّ ولا تُحصى ، ومن أهمّهـــا الهداية لهذا الدين القويم .. فكم من البشر قد مات على غير هذا الدين الذي لا يقبـــل الله سواه .

﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ ..(٢)

الأمن والاطمئنـــان من أعظم نعم الله عزوجل .. السمع والبصر ، اللســـان والشفتان .. اليدان والقدمان ، العقل ، القلب ، الأكل ، الشرب ، النوم ، الراحة ، السكن .. لا تعد ولا تحصى ، العلم الذي منحنا الله إيّـــاه .. كل ذلك وغيـــره يدعونا إلى التأمل والتفكر لتحيا قلوبنا وتستنيـــر أفئدتنا ، فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلـــوب التي في الصدور ، ما أعظم كرم الله وجـــوده حتى على من عصـــاه .

---

(١) سورة الإسراء / الآية (٤٤) .

(٢) سورة الذريات / الآية (٢٠ – ٢١) .

ومما نتأمل فيه كذلك :

الذنوب .. وما أحوجنا إلى التأمل فيها لنعرف قدر أنفسنا وسوء أفعالنا .. فكم ليلةٍ ارتمينا في أحضانها نعصي الله عزوجل ، وكم من نهارٍ فقد حيويته وبهاءه بسبب ذنوبنا .. أحصينا منها ما أحصينا وما نسينا كان أعظم ، كم من ساعة بارزنا فيها الله بالمعصية !.. كم من لحظةٍ استوحشت فيها النفس من ذنب عاهدنا أنفسنا على عدم تركه ، فلنتفكّر في ذنوب قد أسلفت أغُفرت أم لا ؟ .. ولنبكي على خطيئتنا ، ولنرفع أكفّ الضراعة في ظلام الليل .. لا نجمٌ يسمع ولا بدرٌ يسطع .. نناجي ربنا ، نبوء بذنوبنا ونعترف بتقصيرنا نذل ونخشع .. ونطرق أبواب التوبة ونعض أصابع الندم ، نسحُ الدموع دماً .. وجباهنا بين يدي ربنا ومولانا ، نتخلص من هوى معصية قد اختفى في احدى زوايا القلب ، فلنبحر بزوارق الندم في بحر التوبة الصافي .. و نرقب بأمل ورجاء شاطئ المغفرة وضفاف الصفح والعفو .

أختي على درب الدعوة ..

لا تعطلي نعمة العقل .. تأمّلي قُربَ ساعة تفكر خيّر من قيام ليلةٍ ، قال وهب بن منبه : ***" ما طالت فكرة امرئ قط ، إلاّ فهم .. ولا فهم إلاّ علم ، ولا علم إلاّ عمل "*** **.**

وإنّي لأربأ بك كداعية أن تتجاهلي هذا الأمر .. أو تشغلك عنه المشاغل أو يضيع منك في معترك الحياة .. وغمرة الدنيا ...

... لا أظن ذلك فأنت **واعية** .

القراءة والاطلاع

من المؤسف جداً أن نرى ونسمع عن داعيات لا يحبين القراءة والاطلاع ، بل ويشعرن بالملل أثناء ذلك .. وما ذلك إلاّ لعدم إحاطتهنّ بأهمية القراءة ، ومدى تأثيرها على العقل واللسان .

أختي الداعية ..

اجعلي من كتابك أعزّ أصدقائك .. في زمن أصبح فيه الكتاب من أوفى الأصدقاء ، ولا تجعلي وقتك يضيع هدراً .. لا علماً نافعاً حصلت ولا فهماً صائباً أدركتِ ، اعرفي لنفسك قدرها .. فأنت حملت همّ نشر هذا الدين ووضعت على عاتقك ــ متلذّذة بذلك ــ عبء التبليغ للناس ، وما أشرف ما تقومين ..

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ .(١)

فأنت أرفع من أن يضيع عمرك في قيل وقال .. وكثرة سؤالٍ وإضاعةٍ للمال .

والقراءة من وسائل طلب العلم النافع ، هذا العلم الذي هو سلاحك كداعية في كل وقت وآن .. تُبحرين مع المفسّر في تفسيره ومع العالم في فتواه ، ومع المحدّث في حديثه و تخريجه .. ومع الفقيه في فقهه وغزارة علمه ، في أي زمن من الأزمنة كانوا وفي أي مكان من الأماكن عاشوا ، لا يوقفك ولا يمنعك عنهم فوارق الزمان والمكان .. كيفما شئت تنقلت عبر القرون الخوالي تسألين وتُجاب على أسئلتك .. أي نعمة هذه ؟!

---

(١) سورة فصلت / الآية (٣٣) .

فحينما تحتــاجين إلى تفسير آية .. عليك القراءة في الكتب الموثوقة ، وكذا الحديث والفقه وغيرهــا من العلم الشرعي ، لا تضعِ يديك إلا في أيدي أهــل الثقة والورع .. والزهد والعلم الذين يخشــون ربهم عزوجل ، واحذري السُّم الزعــاف الذي تمتلئ بها الكثير من الكتب .. التي ظاهرها فيه الرحمة وبــاطنها من قِبَــله العذاب ..

لا تجعلِ عقلك وتفكيرك فريســةً سهلة في أيدي أمثــال هؤلاء الذين يسعون في الأرض فســاداً ، يعجبك قولهم وهم من ألدّ الخصام .. يسعــون في الأرض يهلكون الحرث والنسل ، قد تزعزع الإيمــان في قلوبهم إن لم يكن قد تلاشى بالكليّة ! .. ينفثــون سمّهم في كل كلماتهم ، ويقدمونها على أشهى الأطبــاق التي يحبهــا العقل ، فأحياناً يتقمّصــون الوعظ والتذكير .. وأخرى يتظاهرون بخوفهم على النــاس ، وأخرى بالقصص المؤثرة .. وهكذا دواليــك ، لا يألون جهداً في إفساد المعتقد وتشويه العقيدة والإسفــاف بالقيم والمبادئ ، فما يشعــر القارئ إلا وقد تخلى عن الكثيــر من مبادئه وغسل دماغه ، فيكون أشبه بشجرة كثيرة الأوراق أتت عليها رياحٌ عــاتية وعاصفة شديدة جعلتها تســاقط أوراقها ورقة .. ورقة ، حتى بقيت جذعاً يابساً ليس عليه إلا بعض الوريقات التي تتآمر على إسقاطها بقيــة هذه الرياح .. تجرّدها من كل شئ .

فالله الله فيمــا تقرأين وتطّلعين عليه ، لا تجعلي من عقلك ومبــادئك فريسة بين أيدي ذئاب البشر .. يقلّبونها كيفما شــاءوا ، وينسجون من أهوائهم وشــاحاً أسوداً يُغطّي القلــوب والأبصار لتعميها عن رؤية الحق والهدى والرشاد ..

﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ (١) .

---

(١) سورة الأنفال / الآية (٣٠) .

ومما يجعلنا نقتــات الحزن ونتجرع الأسى من أمرّ كؤوسه .. أن هؤلاء الثعالب المـــاكرة هم من بني جلدتنا ويتحدثون بلغتنا .. الألسن عربيّة والقلـــوب غربيةٌ كافرة ، ندرأ بالله من شرورهـــم ونجعله في نحورهم .

فيا لبنة الدعوة ..

احذري هؤلاء وكوني كالنحلـــة .. لا تأكل إلاّ طيبـــاً ولا تخرج إلا طيبـــاً ، وإذا أردت القراءة فاختـــاري ما يغذي عقلك وينوّر بصيرتك .. ممن تغلغل الإيمـــان في قلوبهم ، فعاشوا لله وماتوا لله .. علوّ في الحيـــاة وفي الممات ، سيَرٌ عطرة وهمَمٌ عـــالية .. ومواقف خالدة تُكتب بماء الذهب على جبين التاريخ رغم أنوف الحاقدين ، إن مثل هـــذه القراءة والاطّلاع لتُوقظ الهمّـــة وتُنعش الكليل ، وتقوم المقعد وتُوقظ الوسنان .. وتسمـــو بالنفس وتحرّك العزيمة .

هُم في الجبـــال جبالٌ .. وللبحر كنوزٌ ودررٌ وأمـــواج ، وللصحراء أعـــاصيرٌ لا يقف أمامهم شئ ، وللغاب أُسودٌ في عزيمتها تهـــابُها كل شئ .. فرسانُ النّهار رهبـــان الليل ، هم بحق قدوةٌ يُقتدى بهم وسنىً يُستنـــار به .. وعبيـــرٌ يُنعش الأرواح ، ويحدوها على متابعة المسيـــر على نفس الدرب الذي سلكوها ..
نعلّ بذكر حديثهم قلوباً ضـــامئة ...

علِّل بِذكْرِ حَديثِهِم يا حادي   فحَديثُهُم يَجلُو الفُؤَادَ الصّادِي

وبعد هـــذه النُتف القلائل من الحديث عن أمثـــال هؤلاء .. كيف يطيب لك القعـــود عن القراءة عنهم ، والعيش معهم والوقـــوف على أخبـــارهم ؟ أم هل وجدت شغلاً عن مطـــالعة تلك القصص ..

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى ﴾ (١)

(١) سورة يوسف / الآية (١١١) .

هيّا يا أخت الدعوة .. بـــادري فالوقت أنفاس لا تعــود ، اشحذي همتك .. واملئ حقيبــة عقلك بأقوالهم وأفعالهم ، هيـــا اعلمي ثم اعملي لتسمـــو نفسك وتقترب من بـــارئها عزوجل ، لا تترددي في الغوص في أعمـــاق هذه الكتب ، كلمـــا ازداد عمق البحر .. كـــانت اللآلئ أثمن وأغلى وأنفس .

التجافي عن النعيم

أيتها الداعية .. إنّ الانغماس في الترف ، والإغراق في النعيم ليست من صفاتك التي عهدناها منك .. بل إن مثل هذه الصفات لا تليق بك وبمقامك وبعملك الذي تقومين به ، فلماذا نرى من بعض الداعيات شدّة انغماسهن في هذا الترف والنعيم مما أفقدهن عن تطلب الكمال ، ونفر نفوسهن من حمل همّ هذا الدين كما ينبغي .. فوقفن في منتصف طريق المجد والسؤدد والتمكين الذي وعدها الله به ، فألِفت نفوسهن المُترفة أخلاقاً مرذولة .. تُعتبر قدحاً في شخصيّاتهن كداعيات ، كالجبن والخوف والتردد ودنوّ الهمة .. والإمساك عن فعل الخيرات والمسارعة إليها ، ثم يورثها بعد ذلك .. موت العزيمة وحقارة الشأن .

فأنت إذاً أيتها الداعية .. من أحرص الناس على تربية نفسك والارتقاء بها إلى الكمال البشري ، فاحذري كل الحذر من هذا الترف .. بل كوني أقوى عزماً وأصلب إرادةً .. وتجافي عن النعيم لتكبُر نفسك وتعلو همتك ، وهذا التجافي سيعينك بعون الله عزوجل على بلوغ المرام وكسر الشهوات ، والثبات على المبدأ مهما كانت صعوبته ومهما كانت العقبات التي تعترضه ، لأنك ألِفتِ النزال والشجاعة لتجافيك عن النعيم .

وصدق الشاعر يوم قال :

فَمَن هَجَر اللذَّاتِ نَالَ المُنَى ومَن   أكَبَّ على اللذَّاتِ عَضَّ على اليَد

وكلما ربطت على قلبك وأيقظت عزيمتك أعانتك على هجران النعيم والترف .. ذلك أن المترف يكره النزال ، ويتقهقر من أول عقبة تقف في طريقه ، أما أنت

كداعية فالعقبـات هي طريقك .. والأشواك منثـورة عليه ، والعواصف تحيط به لأنهـا طريق الجنة ، لذا أريدك قوية تزدرين النعيم والانغمـاس فيه ، تؤثرين الشجاعة والإقدام ، أتطلع كل لحظة إلى المستقبل القـادم من وراء الأفق الذي ستكونيـن أهم لبِناته وصرحاً من صروحه ، أُشنّف سمعي كل يوم نحـو بوابة المجد أنتظر قدومك .. وأرقب ما تحملينه من أمجـاد سطرتها لك عزتك وأنفتك وإبـاؤك .. أريد أن أرى فيك المضي بمعنـاه الواسع العظيـم .. وليكن لسان حالك : مـاضٍ وإن صرخت بيَ الدنيا قف ، لم أُبطئ ولم أقف ! .. أريدك بيئة مناسبة وأرضاً خصبة لإخراج أجيـال لا تركن إلى النعيم ، ولا تعرف الترف ، أريد منك أمثـال سعد والزبير .. ومصعب وعمر ، أريد منك أمثـال أسماء وسميـة وفاطمة ، يتجـافون عن النعيم ويبغضـون الترف .. لا لفقرٍ ألمّ بهم أو جائحةٍ اجتـاحت أموالهم ، بل لعزة تربّعت على عرش قلـوبهم وأنفة أطلت من محيـاهم .. و طموح ارتقى بهم إلى معـالي الأمور وعظامها .

نعم يا أخيّـة .. هكذا فلنكن ونعمت الحياة ، وإلاّ فبـاطن الأرض خيرٌ لنا من ظاهرها ، نحيا لعزة أنفسنا بعيداً عن لذّات الدنيا وشهواتها ، نعيش عيش الكفاف وخزائن الأرض طـوع أيدينا .. فلنتجافى عن الترف ونهجر النعيم واللـذائذ ، لنرزق القناعة في النفس ، وندرك من ضروب العزّة والمجد مـا نرفع به ذكرنا ونبلُغ به كمـالنا .. ونري ربنا منّا خيراً .

واحذري أن تكوني كما قال الشاعر :

و ممّـا يزهدُني في أرْض أندلُـسِي — أسمَـاء مُعتَمِـد فيهَـا ومُعتَـضِـد
ألقَـابُ مَملكَـةٍ في غَيرِ مَوضِعِهَـا — كالهِـرِّ يَحكِي انتِفَاخاً صَولَـةِ الأسَد

إتقاء الشبهات

قال ﷺ : (الحلال بيِّن والحرام بيِّن ، وبينهما أمورٌ مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام ، كراعٍ يرعى حول الحمى يُوشك أن يوقعه .. الحديث) .[١]

فإن كنا سنحذِّر عـامة الناس من الشبهات .. فإننا في بعض الأحيـان سنحتاج إلى أن نحذِّر الداعيـة من ذلك ، حين تمر في سمـائها سحابة من الغفلة المستحكمة ، عندها يأتي دورنا لطرق قلب مثل هـذه الداعية وتذكيرها بواجبهـا وعِظَم مسؤليتهـا ..

فيا أختي الداعية ..

ما أكثر الشبهـات .. وما أكثر الفتن في زمن القـابض فيه على دينه كالقابض على الجمر ، زمنٌ يتقمّص فيه البـاطل شخصية الحق ، ويتوارى الحق بين أحضـان الشهوات المضللة والأهواء الزائفة .. ممن اجتُـثَّتْ جذور الإيمان من قلوبهم وصاروا ثعـالب في مسلاخ بشر ، فاحذري مواقع الفتن ، واحذري الحوم حـول الشبهات .. فأنت في موقع القدوة !

وكم يسرق الأسى فيَّ حتى وأنا أرى بعض الداعيـات ممن فيهن الخير الكثير والعزم الأكيد يحمن حول الشبهـات دون رادعٍ من ورعٍ أو تقوى ، مما يجعلني والله أعـضٌ على صمِّ الحصى كمداً وحزناً .

---

(١) البخاري ومسلم .

فيا أخواتي الداعيات ..

إيّــاكن ومواقعة الشبهات .. سواء كانت في المعتقد أوفي العبــادة ، أوفي المعاملات ، فالحق واضح وضــوح الشمس في رابعة النهــار ، والهدى لا غمام عليه ولا غبــار .

فالله الله في التقوى والورع ، وإذا ما اعترضتك فتنٌ وشبهــات .. فاشيحي بوجهك وانثني في طريق الهدى والحق هــامتك ، ولا تدغدغ عزيمتك وإصرارك الأهواء والشهوات ، ولا تغتالك الشبهات ومواقع الريبة والشك بحسن مظهرها .

أواه .. أواه واضطربت في نطقهــا شفتي ، بعدما رأيت ما رأيت .. مما أجّج في قلبي نيــران الأسى على من تزعُم أنها إلى الله داعية ، وهي البــاحثة عن مواضع الريبة أينمــا كانت .

لماذا الجمود ؟

أخواتي الداعيات ..

إننا في هذا الطريق أشكالاً وألواناً ، منا القوية ومنا الضعيفة .. وفي كلٍ خير ؛ ذلك أن الدعــوة الإسلامية بحاجة إلى عــالمة عاملة وفقيهة زاهدة .. ومفكرة مخططة وقائدة حــازمة ، تعيد لنا ذكرى أمهــات المؤمنين رضيَ الله عنهن وأرضاهن ، ومما يثيــر التعجب هو صنف من الداعيات أعطــاهن الله الكثير الكثير .. وقدّمن لخدمة دينه القليل والقليل ، تلمّست من بعضهن قدرات دعــوية عظيمة .. وطــاقات للأسف مهدورة ، هي مصلية دائماً .. متصدقة قائمة لا تملّ ولا تفتر من عبادة ربها ، تستطيــع القراءة ولها أسلوب خــاص في الكتابة ، بيد أنها اقتصرت على عمل دعوي واحد .. تقــوم به في الليل والنهار ، لا تحــاول تغييره أو حتى التجديد فيــه ، فهي على هذا الروتين منذ سنــوات طويلة .. لا تضيف جديداً إلى نفسها أو إلى غيرها ، وربمــا تحولت صلاتها وصيامها إلى عــادات تفتقد الروحانية ، فهي أشبه بــآلة تعمل ليلاً ونهــاراً دون أن تشعر بلذة أو تتمتع بطــاعة ، ومع تطاول الزمن .. ربما تداخلها الســآمة والملل ، ويعتريها الحزن والوحشــة .. رغم كثرة عبــاداتها وكثرة قرباتها .

أقول لمثل أولاء الداعيــات .. ما قاله ذلك الشاعر لابنه :

ستَجني من ثِمَارِ العَجزِ جَهلاً ... وتَصغُر في العُيونِ إذَا كَبرت
وتَنكــرُ قَولَتِي لَكَ بَعدَ حِيــن ... إذا حقــاً بِهَا يَومَــاً عَمِلــت
وَإنْ أهملتَهَــا ونَبَذْتَ نُصحَــا ... وَملتَ إلى حُطَــامٍ قَد جَمَعت
فَسَــوفَ تَعَضُّ مِن نَدَمٍ عَليها ... ومَــا تُغني النَّدَامَــةُ إن نَدمت

إذا أبصرتَ صَحبكَ في سَمَاءٍ قَدِ ارتَقَعُوا علَيكَ و قَد سفِلت
فَرَاجِعهَا ودَعْ عَنك الهُوينا فمَا بالبُطءِ تُدرِك مَا طَلَبت

فلماذا لا تحاولين التجديد والارتقاء بنفس أعلى وأعلى ، حركي الإيمان في قلبك كل آن .. نوّعي الطاعات و القربات ، راقبي أعمال قلبك وقالبك .. واخرجي من هذا الديدن والروتين الممل ، وكونك داعية .. جدّدي في الدعوة وأساليبها ، قولي بربك .. هل فكرت يوماً أن هناك العديد بل الملايين من الصفحات البيضاء التي تشتاق إلى شفتي قلم تحمله أناملك وتسطر أحرفاً وعبارات تدعو إلى الله عزوجل .. وتصرخ بالتائهين في دروب الحياة أن هلمّوا وأقبلوا فها هو الطريق !

أين أنت أيتها الداعية عن حلقات الذكر ومجالسة الصالحات والاقتداء بهم .. ألا تفكرين بمستقبل دعوي أفضل لك ولمن تحت يديك من الناشئة ؟ .. ربما تشعرين أن في هذا الروتين والجمود متعة ولذة .. ولكنها متعة آنية ولذة مزيفة سرعان ما تزول ، وتشعرين بعد أمدٍ طويل أو قصير .. أنك فرطت في حق نفسك ، وخاصة إذا وجدت قريناتك ومن جاءت بعدك وقد سبقتك في مضمار العلم والفقه .. والإيمان والتقوى ، فارتفعن وسُدن .. وصار لهن من المنفعة ما لم يكن لك .

أترضين أن تكوني كالشمعة تُحرق نفسها لتُضئ برهةً من الزمن ثم تنطفئ إلى لأبد ؟! .. ألا يحزنك أن تجدي نفسك بعد سنين طويلة من العمل والحركة الدائبة قد أُستهلكت وليس بمقدورك العطاء النافع المفيد ؟

إن إهمال النفس وعدم تطويرها فكرياً وعلمياً .. وإيمانياً وتربوياً ، من أخطر الأمور على الداعية ، لأنها تكبر عمراً .. في حين أنّ عقلها وعلمها ، وثقافتها وفكرها لا تزال ثابتةً في مكانها ولم تزد ، وأمثال أولاء الداعيات

أخشى عليهن أن يكـــون تأثيرهنّ محدوداً قصير الأمد .. سرعـــان ما يتلاشى ، فلا تصنع التـــاريخ إلاّ نفوساً كبـــاراً تعبت في مراده الأجساد .

بنات العلا الميمون ..

إن الدعوة في صراع عنيـف مع الباطل وأهله .. والميدان مفتوح للجميع ، قد انعقد المضمار ، وخفي الســابق واشتد الغبار ، وسنعلم حين ينكشف الغبار.. أفرَسٌ كان تحتك أم حمار !.. لا تتهـــاوني وتُقللي من شأنك ، فالدعوة بحـــاجة إلى كل داعيـــة ، والبحر عميق والسفن قلائل .. والغرقى كثير وكثيـــر ، كلهم ينظر إليك وإلى أمثـــالك ، فهل بعد ذلك تألف نفسك الدّعَـــة وتسكن إلى الراحة وقد علمت قصر العمر .. وسرعة مرور الليالي والأيـــام ؟

لا والذي رفع السمـــاء بلا عمد .. لا يليق بك ذلك ، فهيّـــا شمّري عن ساعد الجدّ .. وابدأي العمل ، واســألي الله التوفيق .

الأخلاق

إن قلمي ليتوارى خجلاً من أن يكتب هذا العنــوان ضمن الكنوز التي تفتقدها الداعية ، ولكن عيني عــاتبة على ذلك .. مما رأت وشاهدت ، وذكرته بالقسم الذي أبرمــه على نفسه .. ألاّ تأخذه في الحق لومــة لائم ، فانبرى يخط السطور ويوالي الصفحــات .. فقلت لها :

رفقاً بقلب كلما غنّى تعثّر بالأنين .

ولكنها الحقيقــة التي لا بدّ منها .. ذلك أن بعض الداعيات عافهن الله تجاهلت دور الأخلاق في حيــاة الداعية ، وأثر ذلك في تأثيرهــا على الناس .. وأثرها عليهــا كقدوة يُحتذى بها ..

ومن هــذه الأخلاق .. الرفق والصبر والحلم والأنــاة ، والحياء وكظم الغيظ والعفو عن الناس ، والصدق والأمــانة .. وغير ذلك كثيرٌ وكثير ، وأهمّهــا .. حسن معــاملة الناس صغيرهم وكبيرهم .

فلتنتبه الداعية إلى ذلك ، ولتحرص على التحلّي بالأخلاق الفــاضلة .. وأظن أنني لن أتحدث كثيراً .. فالموضوع محطّ أقلام الكثير من الدعاة والداعيات ، ولله الحمد والمنــة .

حسن الظن

قال ﷺ : (إيّاكم والظن فإن الظن أكذبُ الحديث ...) .[1]

وإن مما اُبتلي به بعض الداعيات .. هو إساءة الظن بالآخرين ، وعافى الله الجميع ، حيث أن بعضهن تحتاج فقط إلى كلمة أو حركة .. أو سكنة أو أدنى موقف حتى تقلبها كيفما شاءت ، تاركة المجال لهواها يفكر كما شاء ، يذهب بها ويأتي .. يزيد وينقص ، يجرح ويقدح في الناس دون أي رادع .

بعض الناس قد يستقِل بهذه الأشياء ويستصغرها ، ولعلها مما نحسبه هيِّناً وهو عند الله عظيم ، وسوء الظن مما يشحن القلوب حقداً وكرهاً وبغضاً ، فيؤدي إلى البغضاء والتنافر، والداعية تترفع عن أمثال هذه السفاهات .. وتسمو بنفسها إلى أعلى المقامات .

ذكر ابن الحجر الهيثمي في الخيرات الحسان .. أنّ شخصاً جاء إلى الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى ، فأخبره عن رجلٍ لا يرجو الجنة ولا يخاف النار ، ولا يخاف الله تعالى ، ويأكل الميتة ويصلي بلا ركوع ولا سجود ، ويشهد بما لا يرى ، ويُبغض الحق ويحب الفتنة .. ويفرّ من الرحمة ، ويصدق اليهود والنصارى .

فتخيّلي أن هذه الكلمات قيلت أمامك أيتها الداعية ، ماذا ستكون ردّة فعلك ومقالك ؟! .. ربما سوء الظن هو سفيرك الأول في الحكم على هذا الشخص ،

---

(١) البخاري ومسلم .

ولكن أبو حنيفة عليه رحمة الله ، حكّم عقله .. ونحىّ هواه ، التفت إلى أصحابه فقال لهم : ما تقولون ؟ قالوا : إنها صنعة كافر .

تأملي ردّ أصحابه .. " إنها صنعة كافر " ، ولم يجزمــوا أنه كافر .. بل قالــوا : صنعة كافر !

فقال الإمام أبو حنيفة : بل هو من أوليــاء الله .. فهو يرجو رب الجنــة ولا يرجو الجنة ، ويخــاف رب النار ولا يخاف النار ، ولا يخــاف الله تعالى أن يجــور عليه ، ويأكل ميتــة السمك ، ويصلي صلاة الجنازة .. والصلاة على النبي ﷺ بلا ركــوع ولا سجود ، ويشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وهو لم يرهما ، ويبغض الحق وهو الموت .. ليطيــع الله تعالى ، ويحب المــال و الولد .. وهمــا فتنة ، ويفر من المطر .. وهو الرحمة ، ويصدّق اليهود في قولهم .. ﴿ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ ﴾ ،[1] ويصدّق النصارى في قولهم .. ﴿ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ ﴾ .[2]

الله أكبر .. أيُّ ورعٍ هــذا ؟! .. لم يضيع وقته في التفكيــر والتجريح ، ولم يدع مجــالاً للأهواء ترتاد قلبــه ، كمثل قول الشــاعر :

يا قَومُ مَهْلاً مُسلِمٌ أنَا مِثلُكمْ   اللهَ .. اللهَ .. فِي تَكفِيــرِي

فيا ابنة الدعوة ..

ليس في وقتك متسعٌ لتغليب الظنون والإساءة بالناس .. وسهــام الغدر تصوّب إليك لتغتالك بأي الطرق والأشكــال ، لا تنسي أن أعدائك ممن لا خــلاق لهم ولا دين .. يخططــون ويفكرون للإيقــاع بك ، فترفّعي عن المستنقعــات .. وخوضي البحر وقوفاً أمــام هذه المخططات الغــادرة والألاعيب المــاكرة ..

(١ – ٢) سورة البقرة / الآية (١١٣) .

لقد آن الأوان لك يا ابنـــة الدعوة أن توجّهي كل طاقاتك وجهــودك وتفكيرك لنشر الدعوة والإصلاح بين النـــاس .. ولصد هجمات الأعــداء .

إنني لا أريد أن أقارنك بعـــامّة الناس ممن ملم يحملوا همّاً ولم يرفعوا علماً .. ولكني أعــود فأقول لكِ لا تنسي أنك داعيـــة ..

ألمْ تَـــرَى أنَّ السَّيــفَ ينقصُ قَــدرهُ

إذا قِيلَ أنَّ السَّيفَ أمْضَى مِنَ العَصَى

مدرسة الحياة
قفي وتتلمذي

الحياة مدرسة متنوعة الدروس كثيـرة الأحداث ، والمرء متقلّـبٌ بين أحداث الحيـاة ودروسها ، وقد قيل :

" لا تدعُ الأيام جاهلاً إلا أدبته "

إنّ مسرح الحياة حـافلٌ بالمشاهد التي تُؤدّى عليه ، والداعية تكون تـارةً بمثابة المشـاركة في هذه التمثيلية التي تُؤدى على مسرح الواقع .. وتارة تكون مشـاهدة ، وأخرى لا يصلها من البثّ سوى الصـوت دون الصورة .. فيمـا تخرج الداعية من ذلك كله إن هـذه المواقف منها الصحيح ومنها السقيم .. فأين أنت منها ؟ .. قال بعض الأدباء :

" كفى مخبراً عما بقي ما مضى .. وكفى عبراً لأولي الألباب ما جربوا "

اعلمي يرعاك الله ، أن الإنسان يحصل على العلم عن طريـق البصر والبصيرة ، أمـا البصر .. فهو عن طريق ما نشـاهده في حياتنا ، وما نكسبه بحواسنا من الخبرة بأمور الحيـاة ، أما البصيرة .. فهي ذلك النـور والهدى الذي يُفرغـه الله في قلوب عبـاده ليعلموا ما لا يعلموا .

فأنا وأنت بحـاجة إلى التعلم من أمور الحيـاة .. لنستفيد من الماضي للحاضر والآتي ، أنا وأنت بحاجة إلى أن نبحث عن التجارب ونستفيد منها .. أنا وأنت بحاجة إلى أن نعـاشر صواحب الوجوه المتوضئة ممن أدبتهم الأيـام وعلمتهم السنون .. من الداعيات والمصلحـات .

إنّ الداعية بحاجة إلى أن تُحكم عقلها وتخوض معترك الحياة حلوها ومرها ..

صفوها وكدرها .. سعدها وشقـائها ، للاستفادة من التجارب والخبرات ، ولتعلم أن الفشل أول لبِنَات النجـاح ، إن الداعية عندما لا تتعلم مما مضى من التجارب لتجعل الدعـوة تبدأ من الصفر دائماً .. أو تجعلها حقلاً للتجـارب ، فتكرر المواقف الخاطئة ولا تأخذ منهـا دروساً وعبراً ، فتتأخر الدعوة وتتراجـع إلى الوراء ، وما أشبه الليلة بالبارحة !.. فلماذا لا نجعل من البـارحة بدايةً لواقعٍ أفضل ليلة .

معاشر الداعيات ..

ما أكثر المواقف التي تمرّ بكنّ .. وما أكثر أحداث الليل والنهار ، كم من موقف حدث لك حين التحف الليل بوشـاحه الأسود لم تلقي لها بـالاً ، وكم من حادث أدركتيه في وضح النهـار بمشهد من نوره .. لم يقع منك بموقع ، أليس كل ذلك يؤخرنا إلى الـوراء سنون عديدة ؟

إن التجربة عمرٌ ثـانٍ .. فيها خير كثير ، وكلما كثرت .. كلما كـانت الفائدة أعظم ، فلمـاذا الغفلة عن مثل هذه الدروس ؟ .. ولماذا التعـامي عن مثل هذه العظـات ؟

إن الحياة في ظل العقيـدة مدرسة وأيُّ مدرسة .. ولكن أين المعتبـرون ؟! أين طلاب هـذه المدرسة ؟!

أختي على درب الدعوة ..

إنّ هـذه الدروس ستعظّمك كلما احتجتِ إليها ، أختي إن في قلبي كلمـاتٌ لم أستطع إخراجها .. فقلّبت دفتر ذكـرياتي ، فوجدت ضـالّتي في إحدى قصاصـات هذا الدفتر ، فأسوقها علّها تفي بما أريد .. واعلمي أنني دائماً كنت أقـول بيني وبين نفسي : علّمتني الحيـاة كيف أحني جبهتي أمام العواصف .. وأتجنبها مهما كـانت .

وجدت مكتوباً على هذه القصاصـة ما يلي :

" في لحظة ضعفٍ ذاتي وانهزامٍ نفسي .. تعرضت لصفعـــة قوية ، آلمتني كثيراً ، حتى وجدت ألمها في أعماق نفسي الجريحة ، استغلّ هواي ذلك الضعف فلكم انتظَره طويلاً .. وبدأ يحرّضني على أن أغضب لنفسي ، ورفع صوتـــه فيَّ ثـــائراً : كيف تَرضين بهذا الذلّ ! .. أخرجي سيـــاط كلماتك واضربي ، ردّي الصفعة بصفعـــات .. أين عزتك وكرامتك ؟ أنسيت من أنت ؟! .. هنـــا خرجتُ من حـــالة الضعف هذه لأقول لنفسي : *أنسيت من أنتِ* ..

أنسيت أنك إلى الله داعيـــة ، أنسيت أن هذا الموقف من أعظم مواقف العزّة ؟ أنسيت أنك قد أوقفت مشاعرك .. كل مشاعرك لله عزوجل ، أنسيت أنك لله وبالله وإلى الله ، ومن الله ومع الله ، أنسيت أن مقـــامك أرفع .. وشأنك أرفـــع من هذه السفاهات .. !

والآن ، هيا يا نفس .. احني رأسك أمام هذه العـــاصفة ، فهي لا تستحق منك الوقوف أمـــامها وتضييع وقتك معها .. فوراءك ما هو أعظم " .

علمتني الحياة .. أن لا أحزن لنفسي مهما كانت الإســـاءة ومهما كان صاحبها .

علمتني الحياة .. أن أكون على أهبّة الاستعداد لتلّقي أي رصاصة طـــائشة .

علمتني الحياة .. أن البحث عن الحل أفضل من التشكّي وتعـــاطي المسكنات .

علمتني الحياة .. أن حتى أقرب الناس يطـــالبني بحقوقه دون أن يتفوه بها .

علمتني الحياة .. أن الابتســـامة الصادقة بريد للقلوب .

علمتني الحياة .. أن أحب كل داعيـــة .

الدعاء

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ .(١)

أختي الداعية ..

إذا أظلمت الحيـاة بناظريك .. إذا أُغلقت الأبواب في وجهك ، وسُدّت المنافذ أمامك .. فإلى من الملتجـأ وإلى من المفر ؟ إنّه إلى الله العليّ العظيم ، اسكبي الدمع على الخدين انطرحي بين يديـه .. ارفعي أكف الضّراعة بين يديه ، فهو يراك ويسمعك ، ولا يخفى عليه شئ من أمرك .. يده بالعطاء تجود .

وليكن لسان حالك :

لَبِسْتُ ثَوبَ الرَّجَاءِ وَالنَّاس قَد رَقَدُوا وَبِتُّ أَشْكُـو إِلى مَولايَ مَـا أَجِـد

فإذا داهمتك الخطوب .. فتضرّعي إلى الله ، وإذا ضاقت الأرض برحابتها .. فاقبلي على الله ، وإذا استوحشتِ من الحيـاة .. فأنسي بالله ، إذا قسى قلبـك وتحجّرت مدامعك .. فعودي إلى الله ، اقرعي أبواب السمـاء ولا تيأسي .. نـاجي ربك ولا تبخلي ، اجعلي قلبك ينكسـر بين يدي الله .. اسكبي الدموع الحرى إذا ناجيتيـه ، إذا لم تُجابي إلى دعائك .. فواصلي القرع وجـدي في استكمـال شروط الدعاء ، ارفعي حـاجتك إلى الله ولا تترددي .. اقبلي ولا تعرضي ، وتذكري أن الله حييّ كريم يستحي من عبده إذا رفـع يده أن يردهمـا صفراً خـائبتين .. أيُّ كرمٍ هذا وهو يدعوك إلى سؤاله !.. اسأليه خير الدنيا والآخرة ...

---

(١) سورة البقرة / الآية (١٨٦) .

يَـا مَن أَلُـوذُ بِهِ فِيمَـا أُومِلُـه   واستَعِيـذُ بِـهِ مِمَّـا أُحَـاذِره
لا يَجبر النَّاسَ عَظماً أنتَ كَاسِره   ولا يَهِيضُونَ عَظماً أنتَ جَـابِره

أظهِري ضعفك وعجزك .. " اللّهم إليـك أشكو ضعفي وقلـة حيلتي وهواني على الناس ، إن لم يكن بك عليَّ غضب فلا أبـالي ، غير أن عافيتك أوسـع لي أعـوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيـا والآخرة أن يحل بي سخطك أو ينزل عليَّ عقـابك ، لك العتبى حتى ترضى .. ولا حول ولا قـوة إلاّ بك " .

لا يملُّ من سؤال عبده إذا سـأل .. يحب أن يرى عبده متضرّعاً خاشعاً ذليلاً بين يديه ، فلا تجعلي أمثال هذه الفرصة تفـوتك .. ولا تطلع عليك الكـواكب إلا وأنت مخبتةٌ داعيـة ، تسأليـن ربك وتدعينه .

الثبات على المبدأ

إن الثبات على المبدأ والاقتنـــاع بالمنهج .. من أهم ما تحتـــاج إليه الداعية ، ذلك أنها ستواجه فتنـــاً ورزايا .. ومحناً وبلايا تحتاج إلى هذا الثبـــات الذي لا تزعزعه الأعـــاصير ، ولا تذهب بألوانه وبهـــائه شمس النهار .

إن مثلك ومثل ثباتك على مبدئك في المحن والبلايـــا .. كرجل يسيـــر في طريق مستقيـــم به بعض الهضاب والسهـــول والمنحدرات ، وعلى حافة الطريق وُجِدَت جمـــاعة من اللصوص يريدون سرقة ما لديه ، فحاربهم وأجهز عليهم .. ثم وجد جماعة أخرى فأرشدها وســـارت معه ، ثم جماعة ثـــالثة ورابعة تحاول سرقة مـــا لديه .. لكنه بقوة استطاع حمـــاية الكنز الذي بين يديه ، فلم يظفر أحد منهم بشئ قليل أو كثير ، حتى وصل إلى نهاية مســـاره .. كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السمـــاء ، لا تدرك شموخهـــا الأقزام ، ولا تنال من ثباتها الليـــالي والأيام ، الثابت على المبدأ .. لا يقدم أي تنـــازل عن أي مبـــدأ وأي قيم مهما كـــان .

وإن تعجب فعجب ذلك العلَم العظيم في ثباته يوم محنتـــه ، قال المرمزي : دخلت على الإمام أحمد أيام المحنـــة ، فقلت : يا إمام قـــال الله :

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا أَنفُسَكُمْ ﴾ ، فقـــال : " يا مرمزي .. أخرج فانظـــر إلى رحبة دار الخليفة " ، فرأيتُ خلقاً من النـــاس لا يحصي عددهم إلا الله والصحف في أيديهم والمحـــابر والأقلام في أيمـــانهم ، فقلت لهم : أيّ شئ تعملون ؟ قالوا : ننظر ما يقول أحمد فنكتبـــه ، فقلت : مكانكم ، فدخلت إلى الإمـــام فقلت له ما رأيته ، فقال : يا مرمزي ءأضلّ هؤلاء كلهم ؟ أقتل نفسي ولا أضلّ هؤلاء !

الله أكبر .. إنه الثبات التام الذي لا يحركه شئ ، فتأملي واتعظي .. والتزمي بمبدئك المستقى من كتــاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ولا يزعزعك عنه مزعزع فكل المبــادئ سواه إلى انهيــارٍ وتزعزع .. لأن متبعها فاسد ، ثم إنك لا تدرين أتُقبلين على الابتــلاء أم على التمكين ! ..

تَمُوتُ المَبادِئُ فِي مَهدِهَــا وَيَبقَى لنَــا المَبْــدَأُ الخَــالِدُ
مَرَاكِبُ أهلِ الهَوَى أتخمَت نُزُولاً و مَركَبُنَــا صَــاعِدُ

تساؤلات

لا تزال الصور المشرقة تملأ صفحات تاريخنـــا المشرق في قديمٍ وحديث ، ولا تزال محـــابر الزمن تنتظر المزيد لتخطّه على صفحات التاريخ المتلهفـــة إلى أمثـــال هذه الصور .. عالمٌ وداعية ومجـــاهد ، وطالب علمٍ ومفكر ومخطط أناروا الدنيا .. طاولوا شمّ الرواسي همّـــاً وهمّة ، تشتاق الدنى إلى أمثـــالهم وعلى وقع أقدام عزّتهم تهتزُّ الأرض .. شموخٌ تتقزّم حوله كل القـــامات ، إذا ما راحوا بكتهم الأرض والسمـــاء ، وافتقدهم البدر والفضاء .

وعلى مفترق الطريق ؛ تعترضني أسئلة تفرض نفسها .. أين نحن من هؤلاء ؟

ماذا قدمنا لهذا الدين ؟

وهل تنتظر محابر التاريخ منّا ولو قطرةً من المداد تسطِّر به بعض الأحرف التـــائهة ؟

وإذا متنا ماذا تركنا وراءنا يذكره الأحيـــاء ؟

وهل لأمثالنا تشتـــاق الدنى وتطرب الأرض ؟! ..

جدارٌ من الأسئلة يُقـــام في وجوهنا ، يبحث عن جواب يكون معول هدم له .. لنرى فعلاً .. إلى أي شاطئ تسير مراكبنا .

الشعور بالنقص لماذا ؟
الانهزام النفسي

سهامٌ من سهــام إبليس .. ونَفثةٌ من نفــثاته ، يصوبها نحو قلوب عباد الله المؤمنين ، وخاصة من ســارت في طريق الدعوة وجعلته من أولى واجبــاتها ، يحــاول بها هدم طموحها وتدمير فاعليتها.. وحطّ همتَها ، أملاً في أن تكــون هذه الداعية نيلاً في قــافلة الدعاة ، أو همَلاً في ركب المســافرين إلى الله .. لا تحرّك ســاكناً ولا ترفع رأساً .. لتكون على هامش التأثير .

ذلك هو شعور الداعيــة بالنقص ، وعدم القدرة على القيام بأعبــاء الدعوة حتى اليسيــر منها .. حتى يُخيّــل إليها أنه لا دور لها في نُصرة هذا الدين .

فإذا قلتِ لها عِظي الناس في المدارس .. وقومي بإلقاء الندوات والمحاضرات قالت : أنا أقلُّ من أن أعظ النــاس ، وإذا قيل لها : اكتبي رسالــة إلى إحدى أخواتك تدعينهــا إلى الاستقامة .. قالت : ومن أنا لأكتب رسالة ! أو تقــول لا أجيــد الكتابة ، وإن قيل لها اكتبي مقــالاً أو نصيحة أو موعظة .. ووزّعيها بين الناس .. قالت : أنا أريد من ينصحني ويعظني ، وإن قيل لهــا : ادعي النــاس في مجالسهم .. أُومري بالمعروف وانهي عن المنكر ، قالت : أنا أقــل من أن أفعــل ذلك ، وإن قيل لها : كوني مربيّة وموجّهة لغيرك من العــائدات التائبات وحديثــات الالتزام .. قالت : وأنّى لمذنبةٍ مثلي أن تكــون مربية أوموجهة ! دعيني أبدأ بنفسي أولاً ، وإن قيل لها : تحدثي أمــام الناس .. قالت : أستحي من النــاس .. وأخشى أن أرتبك ويستهزئ بي الناس ، وهكذا دواليك ..

إني أعلم يا حبيبتي أن حب الخيــر متأصل في نفسك ، ولكنك تحتقرين نفسك

وتستصغرين قدراتك وإمكـــاناتك ، رغم أن في وسعك الكثير والكثير ، وهذا هو الانهزام النفسي بعينه ، ولكم يؤلمني وأنا أرى الكـــافرة والنصرانية .. واليهودية والمجوسية تبحث بشتى الوســـائل لتنشر ضلالها وتنصر مبادئهـــا ، ثم أرى ابنة الدعوة قـــابعة في إحدى زوايا المنزل منزوية عن مواطن التأثير ! ..

والأدهى من ذلك .. أن نرى التي تتهم نفسها بالنقص لا تجهد في تغيير نفسها وإصلاح ذاتها والتخلص من ضعفها ، ولعل البعض قد اعتـــادت ذكر هذا النقص كي تبرر لنفسها التخلف عن ركب أصحـــاب الهمم العالية .. ناسية قوله تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ .[١]

ومن أعجب ما قيل هنـــا .. ما قاله حسن البنّا ــ عليه رحمة الله ـــ :

" ونحن نريد نفوساً حيّةً قويـــة فتية ، وقلوبا خفـــاقة غيورة ملتهبة ، وأرواحاً طمـــوحة متطلعة متوثبة ، تـــتخيل مثلاً عليا وأهدافاً ســـامية .. لتسمو نحـــوها وتتطلع إليهـــا ثم تصل " .

صحيح أن الكمـــال لله وحده ، ولكن نسدّد ونقارب ونجـــاهد أنفسنا .. فلو أنا وأنت وكل داعية تعتذر بنقصها .. فلمن نترك الميدان ؟ ولمن نترك الدعوة ؟! .. والكمال هو لله وحده .

أرجوك أختي .. لا تكـــوني ممن يعطل قدراته ، ويجمّد أفكـــاره منهزماً على مسرح الواقع ، فراراً في ميادين القتـــال ، لا يعرف السباحة في البحـــار ، ولا السير في الصحاري والقفـــار .. منهزمٌ أمام نفسه وأمـــام الناس .

أيتها الداعية ..

إن شعورك بالنقص سيضيّع عليك الكثير والكثيـــر .. وأنت أفضل من هذا .

---

(١) سورة الرعد / الآية (١١) .

الإقبال على ما ينفع
والإعراض عن كل ما لا ينفع

هذا جماع لكل ما تحتاج إليه الداعية :

ذلك أن الداعيـة تطلب الكمال البشري ، وتسلك كل الطرق الموصلة إليـه ، وفي سبيله تجتاز كل العقبـات التي أمامه ، لتصل إلى مرامهـا وبغيتها .. وبالمقـابل ، تبعد عن كل ما من شأنه أن يعيقها عن الوصول إلى هدفها مهمـا كان ذلك الشئ ، وتنـأى عن كل ما يقطع سيرها أو يؤخرها .

ولابن القيم رحمه الله كلام جميل في ذلك في كتابه الفوائد ، فإليك أختي الداعية هذه الكلمات الوضّـاءة حيث يقول :

" طالب النفوذ إلى الله تعالى وإلى الدار الآخرة .. بل وإلى كل علم وصنـاعة ورئاسـة ، بحيث يكون رأسـاً في ذلك مقتدى به فيه ، يحتـاج أن يكون شجاعاً مقداماً .. حاكماً على وهمه ، غير مقهـور تحت سلطان تخيّله ، زاهداً في كل ما سوى مطلوبه ، عـاشقاً لما توجّه إليه .. عارفاً بطريق الوصـول إليه ، والطرق والقواطع عنه ، مقدام الهمة ثابت الجـأش .. لا تثنيه عن مطلوبه لومة لائم ولا عذل عـاذل ، كثير السكـون دائم الفكر ، غير مـائلٍ مع لذة المدح .. ولا ألم الذل ، قـائماً بما يحتاج إليه من أسبـاب معونته ، لا تستفزه المعارضات شعاره الصبر .. وراحته التعب ، محبـاً لمكارم الأخلاق ، حافظـاً لوقته ، لا يخـالط الناس إلا على حذر .. كالطائر الذي يلتقط الحَب بينهم ، قـائماً على نفسه بالرغبة والرهبـة طامعاً ، في نتـائج الاختصاص على بني جنسه ، غير

مرسل شيئاً من حواسه عبثــاً ، ولا مسرحاً خــاطره في مراتب الكون ، وملاك ذلك .. هجر العوائد وقطع العلائق الحــائلة بينك وبين المطلوب " .

أيتها الداعية ..

تأملي جيداً في كلام ابن القيم .. واجعليه نبراســاً لك على الطريق ، ففيه الكفاية عن كل ما أريد قولــه في هذا المقــام .

احذري الاستعجال

إنّ النفس بطبيعتها تتمنى رؤية نتـائج عملها ، والداعية إذا كانت عجولة فإنها تريد تغييـر الواقع في لمحة أو أقل من طرفـة عين .. دون نظرٍ في العـواقب ودون فهم للظروف المحيطـة بهذا الواقع ، ودون إعداد خطة جيدة وشـاملة لهذا الواقع .. بل ودون بحثٍ جدّي وحثيث عن الأسـاليب والوسائل المعينة على تغيير هـذا الواقع ، إنها تريد أن يغمض النـاس عيونهم ثم يفتحونها ، أوينامون ليلة ثم يستيقظـون .. فإذا بهم يرون كل شئ قد عـاد إلى وضعه ، أوكل إنسان قد التزم بواجبه في الحيـاة ، وقد رُفعت راية الاستقامة الحقـة .. ووجد كل إنسان إنسـانيته وأدرك سرّ وجوده .

هذه العجلة مذمومة في حيـاة الداعية .. واذكر قول الحبيب ﷺ لخباب بن الأرت ﷺ ، عندما جاء يشكو إليه ما يلقاه هو وإخوانه من الأذى والاضطهاد ويطلب منه أن يستنصر ربه .. وأن يدعـوه ، فقال له ﷺ :

(كان الرجل قبلكم يؤخذ فيُحفر له في الأرض ، فيُجعل فيه ، فيُجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيُشقّ اثنتين وما يصدّه ذلك عن دينه ، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب ، وما يصده ذلك عن دينه ، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون) . (١)

وهذا الذي أعنيه بهذا الموضـوع ، فلا تجعلي فورةً نفسية خـالية من تقدير العواقب تؤثر على دعوتك وتعيـق حركتها .

---

(١) رواه البخاري .

ومما لاحظته على بعض الداعيات في هذا المضمار .. أن الداعية تستعجل على الدعوة فتضم داعيات إلى قافلة الدعوة دون الاستيثاق والتأكد من صلاحيتها وقدراتها لهذا العمل .. هذا يؤدي إلى تشويه صورة الدعوة ، لأن هؤلاء المضمومات الجدد اللاتي لا يعرفن الدعوة .. يقمن بأعمال لا تليق بالعمل الدعوي ، وتشوّه صورة أهله ، وقد يؤدي بالمدعوة إلى الفتور ثم إلى النفور ، وربما الانتكاس والعياذ بالله ، ومن ذلك الاستعجال .. القيام ببعض الأفعال والتصرفات الطائشة حتى وإن كانت صغيرة ، تضر بالدعوة ولا تفيدها .. وتضيّع مجهودها وتُذهب طاقاتها أدراج الرياح .

فيا أخت الدعوة ..

لا تجعلي علمك جهلاً .. وحلمك سفهاً في بعض التصرفات العاجلة ، ربما كان السبب في ذلك هو الحرارة والحماس الإيماني المتوقد في صدرك .. والذي يولد طاقة ضخمة تندفع – ما لم يتم السيطرة عليها وتوجيهها – إلى أعمال وتصرفات طائشة تفتقد الرزانة والتروي .

أختي الداعية ..

احذري العجلة في الدعوة ، وبالأخص مع المدعوات .. خذيهن بالتروّي والتمهّل مع بذل الأسباب والوسائل المناسبة ، وتذكري أنك كنت في يومٍ من الأيام في مثل موقف هذه المدعوة ، ولا تجبريها على ترك كل شئ دفعة واحدة .. فذلك صعب عليها ، وتذكري قدوتك ﷺ وهو يخاطب أم المؤمنين عائشة قائلاً :

(ألم تري أن قومك حين بنو البيت اقتصروا عن قواعد إبراهيم !) ، فقالت يا رسول الله : " *ألا تردها على قواعد إبراهيم ؟* " ، قال : **(لولا حدثان قومك بالكفر لفعلت)** .[1] الله أكبر.. انظري إلى الرزانة والتروي .

---

(١) فتح الباري / ج ٨ / باب قوله تعالى (وإذ يرفع إبراهيم القواعد) رقم الحديث : ٤٤٨٤ .

إنني أقول هذا لا لنتركي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ــ حاشا لله ــ بل أقــول هذا .. لأن بعض الداعيات تتعجل في تغيير منكر ، فيؤدي إلى منكر أعظم .. هنا يجب التوقف مع الكراهــةَ القلبية له ومقــاطعته . ومع البحث عن أنجع للوســائل لإزالته ، ليس هذا فحسب .. بل ومع العزم الصادق على الوقوف في أول الصف حين تتــاح فرصة التغييــر .. تماماً كما فعل الرسول ﷺ في أصنــام مكة كما أسلفنا ، وإذا ما نسيَت الداعية فقه أسلــوب تغيير المنكر .. وقعَت في الاستعجال لا محــالة .

▲◄▼▲◄▼▲◄▼▲◄▼▲◄▼▲◄▼▲◄▼

شموخ

رغم تلاطم الأمواج في أعمــاق فؤادي .. رغم عصف رياح الحيــاة بآمالي وأشواقي .. رغم الصفعات المتكررة التي يستقبلهــا وجهي الشاحب ، رغم آمالي التي أسكنتها قلبي فطواهــا الزمن .. إلاّ أنني عرفت من أنا وأين أنا ، أنا في بحر الحيــاة وإلى مرفأ من مرافيه أتجه ، أدركت حين اعتصب وجهي بحزام الصمت .. ألاّ أثني جبهتي وهــامتي إلا في طريق واحد ، وأن أتجه إلى شاطئ واحد أرفع على دربه رايتي .. لا أحيــد عنه رغم مبــاغتة الخطوب وتجمع الحيتــان من كل مكان ، واشتداد العواصف في كل آن ، إنه درب الهــدى ما خاب يوماً ســالكه ..

تعلمت أن لا أيــأس .. وإن تاه في هجعة الليل مركبي ســاعة زمن ، أدركت أن عليّ عبء ثقيل يجب عليّ حمله وإن خسرت لأجلــه كل ما أحب .. تعلمت أن أمضي حين تقيم كفّ الأسى في دربي العقبــات .. تعلمت أن أسيــر ولو كنت لوحدي ، وأن أشع في نفسي الرضا بحملي عبء الحياة ليسهل دربي .

وفي الختام

مهما أبحرت سفينتي في خضم البحـــار.. ومهما احترقت حواجز الظـــلام ، ومهما رفرفت على متنها أشرعـــة الكبرياء ، ومهما صارعت الأمواج ، ومهما قـــاومت العواصف .. ومهما أطلقت صافرة الرحيل بلغة الإباء ، مهما صـــالت وجالت .. فلا بد لها من يوم تحنّ فيه إلى الشاطئ لتقول لركابها ..

نأسف لتقصيرنا .. فاصفحي ، ونأمل بمشاركتك إيّـــانا .. فشمّري ، وما كان من عيب .. فاستري ، وما كـــان من خير .. فانشري ، وهـــا نحن قد وصلنا إلى نهـــاية المطاف ، ولكن قبل ذلك .. تقهقري إلى داخل نفسك لتحدثيها حديثاً صادقاً : هل استفدت ؟! ..

فإن كـــان ذلك .. فللّه الحمد ، وإلاّ فارجعي البصر وكرّري النظر .. لأنهـــا ما كتبت إلا من أجلك ، وهي يعلم ربي .. جهد المقل وحيلـــة المقصر .

تَمَّ الكَـــلامُ وَربُّنا المَحمُـــود		لَهُ المكَارِمُ والعُلا والجُـــود
وَعلى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صلَواتُـــه		ما نَاحَ قَمَرِي وأورَقَ عُود

أختك في رحاب الدعوة

أمة السلام

المحتويات

الموضوع	الصفحة
إهداء	٤
المقدمة	٥
القدوة الحسنة	٧
الهمة العالية	٩
الغيرة على محارم الله عزوجل	١٣
سعة الأفق	١٧
التوسط والإتزان	٢٢
الأسلوب الحسن في الدعوة إلى الله عزوجل	٢٦
الثقة بنصر الله	٢٩
التفكر	٣٣
القراءة والإطلاع	٣٩
التجافي عن النعيم	٤٣
إتقاء الشبهات	٤٥
لماذا الجمود	٤٧
الأخلاق	٥٠
حسن الظن	٥١
مدرسة الحياة .. قفي وتأملي	٥٤
الدعاء	٥٧
الثبات على المبدأ	٥٨
تساؤلات	٦٠
الشعور بالنقص .. لماذا ؟ الانهزام النفسي	٦٢
الإقبال على ما ينفع والإعراض عن كل ما لا ينفع	٦٤
احذري الإستعجال	٦٦
شموخ	٦٩
وفي الختام	٧٠
المحتويات	٧١